الشخصية *

الفكر بحد ذاته ليس بشيء ذي قيمة ولكنه يعد نوعا من الاداة او الوسيلة تعين الانسان على الوصول الى اهدافه ، فكلما كان اتجاه فكر الانسان اكثر رفعة سهل عليه تكييف القابليات والاتجاهات التي قد يمتلكها لانجاز الهدف المقصود . ويجب عليه ان يستخدم افضل ما يملك من قابلية ، فليحاول اذن ان يجعل وظيفة الفكر وحدة لا تتجزأ .

والانسان مخلوق مستقل بذاته فهو يمتلك رغبات واتجاهات وكفاءات وبواعث معينة ويريد ان يعمل وان يكون شخصاً مصلحاً لنفسه وله مركز لائق في الحياة ، فضلا عن انه وهب ذكاء يساعده على استنباط الوسائل التي يتمكن بواسطتها ان ينجز بعض الغايات بعد تصميها تصميما كافياً . وان عامل التامل العقلي يساعده في وضع الهدف المثالي الذي يدور حول نفسه وان العامل المؤثر يقدم لونا عاطفياً معيناً الى عملية الانجاز ويجهز عامل القوة المحركة التي تجلب النجاح المتعاقب .

ولكن الانسان قبل كل شيء له ارادة لا تساعده في انتخاب الغايات وانتقاء الوسائل بغية الوصول اليها فحسب بل تجهزه بالقوة العظيمة التي تنجز الامور . ان مجرد انتخاب الوسائل والغايات غير كاف بحد ذاته بل يجب ان نعمل ، وفي العمل تتبين قيمة ارادة الشخص الذكي العقل .

ان كلمة الارادة تعني بوضوح تصميم عمل شيء ، فاذا كانت هذه الفكرة تمهيدية فقط لتاثيرات رغبتك ـ ففي الحقيقة ـ لا يمكن ان يقال عنها انها ارادة ما لم تقنبا بنتائج العمل الارادي .

ان الشخصية في تغيير دائم ، ولكي تعيش لا بد ان تنجح باستمرار ، فاذا اردت ان تكون معدوداً من بين اولئك العظماء الذين يتمتعون بقسط وافر من النجاح ونعمة الحياة ، عليك ان تتعلم اولا كيف تعرف نفسك . يجب عليك ان تضع خطة لحياتك ولا تدع نفسك تتقاذفها الامواج بدون هدف ، وبتعيين الهدف يمكن لشخصية الانسان ان تعمل المعجزات الخارقة . مع ذلك يجب ان لا يغيب عن الذهن بان الشخصية مسالة فردية بصورة اساسية .

ولقد تاكد مراراً ان العاطفة الرئيسية في الانسان هي عاطفة احترام النفس المتضمنة بيان مركز الفرد الخاص في نفسه والناشئة عن الميل الداخلي لاثبات الذات ، وهذه العاطفة تقرر ما ينبغي القيام به بصورة واسعة ومستمرة ، وان من يعوزه ضبط النفس والاحساس بالكرامة الشخصية عليه ان يتقدم لتقدير قيمة نفسه تقديراً صحيحاً وهذه نقطة تستحق الالتفات اليها بالدرجة الاولى ـ وستوفر عليك كثيراً من العناء خلال مجرى الحياة ـ ان الانسان الذي يمتلك عاطفة قوية لاحترام النفس سينشىء له مظهراً واسلوباً مستقلا في الحياة .

تدور العواطف تبعاً للاهداف والاشخاص وهي تقوم بتجهيز البواعث الانسانية فاذا فعلت شيئاً فانما تفعل ذلك لانك تحب ان تفعله واذا تجنبت الآخر فلأنك لا تحب ان تفعله ، فالعواطف تتخصص بتلك الأشياء المحببة او غير المحببة وعلى هذا يمكنك ان تقوم بتاثير على عواطفك المؤثرة على بواعثك تاثيراً عظيماً .

ان عاطفة احترام النفس تجعلك تجرب جميع اساليب النشاط حتى تجد واحداً تستطيع ان تتفوق به ، وبعدئذ تلمس معنى السرور الآني عن طريق تعظيم او توسيع اتجاهاتك الفطرية ، فيمكنك ان تسكب شخصيتك في القالب الذي تريد .

* مقتبسة بتصرف من كتاب « الشخصية » لس . ف . وولي ترجمة ادور حوري المحامي .

أغنية لمنتصف القرن

☆

لجبرا ابراهيم جبرا

استاذ في الاداب من جامعة كمبردج

•

بغداد

☆

مخالب الليل في اشلاء الشوارع
تنهش ، والنوافذ تدمى بمآق من حديد
والناس فوق الحصى يتحطمون
تحت العجلات وقدح الحوافر .

في عينيك ارى عواء الثعالب
وورد يديك يخفي العقارب .
والليل اذ يتهاوى
يذرو تراب الجوع بين الضلوع
والدخائن تتلاطم بين شطآن الكؤوس .

هاتي قدميك رخاماً من جهنم
تقده ازاميل الاصابع .
شبعت كلاماً ، وتقيأت احلاماً ،
واليوم يهاجم اليوم ، والساعات كالخناجر .
وهل افيق كل صبح على عيون خامده
تقدم لي مع الفطور
وقطع من الشمس تلوكها اسنان الشتاء ؟
في شعرك حرير صارخ ، وفي يدي
ظمأ قديم ، وان تقطر الاكاذيب دوماً
من شفتيك مع الصبح اللئيم والليل العقيم .

تعالي وهم يتمرغون تحت الحوافر .
لقد رأيت الكهوف تتفجر ناراً قرب الجسور
والكلاب تلعق جروح المتساقطين ،
ورجلا يعرق عظمة ويهفو الى
عيون المهى ولثم العذارى وسب العابرين .

فاضت الانهر بالجماجم .
ولكن في الربيع اقتطفنا الشقيق ودسنا السنابل ،
واذا حذاؤك الرخيص كالزمرد .
ولكن هذا دم على قدميك من الشوارع
حيث كان الليل من جوعه
ينهش لحم الثرى وثلج الخناجر .

تعالي لننسي حنيناً في شفتيك المحمرتين .

طريق العودة

☆

للآنسة نازك الملائكة

بغداد

•



نعود اذن في الطريق الطويل
تواجهنا الاوجه الجامده
يواجهنا كل شيء رأيناه منذ قليل
كما كان في ركدة بارده
نعود اذن لا ضياء ينير
لاعيننا الخامده
نسير ونسحب اشلاء حلم صغير
دفناه بعد شباب قصير

***

نعود وهذا طريق الاياب
يمد مرارته ورتابة اسراره
نسير ويبرز باب
هنا، وجدار هناك يسد الطريق
باحجـاره
وثم سياج عتيق
تهدم عند النهر
وعابرة دون معنى تمد البصور
الى حيث لا نعلم
تمر بنا لا تفكر فينا
وننسى ونجهل انا نسينا
ولا نفهم

***

نعود اذن في طريق الاياب المرير
وكنا قطعناه منذ زمان قصير
وكنا نسميه دون ارتياب طريق الرواح
ونعبره في ارتياح
يمد لنا كل شيء نراه يدا
يكاد يعانقنا ويصب علينا غدا

دقائقه نسجتها المنى
وكنا نسميه دون ارتياب طريق الامل
فما لشذاه افل
وفي لحظة عاد يدعى طريق الملل
وعدنا نسير ويسلمنا المنحنى
الى آخر ضيق
ويدفعنا كل شيء نراه
الى يأسنا المطبق
ونشعر انا ضجرنا ،ضجرنا وعفنا الحياه
ضجرنا وعدنا نمج الحياه

***

لماذا نعود ؟
أليس هناك مكان وراء الوجود
نظل اليه نسير
ولا نستطيع الوصول ؟
مكان بعيد ، يقود اليه طريق طويل
يظل يسير ، يسير
ولا ينتهي ، ليس منه قفول .
هنالك لا يتكرر مشهد هذا الجدار
ولا شكل هذا الرواق
ولا يرسل النهر في ملل نغمة لا تطاق
نصيخ لها في احتقار
لأن الطريق طريق الرجوع
لأنا بلغنا نهاية درب الرواح
واصبح لا بد من ان نذوق الجراح
ونحن نسير ونقطع درب الرجوع
ونذرعه بالدموع

***

الا بد من ان نؤوب
وتدفعنا خلجات المرارة دون حلم ؟
الم ينطفىء كل حلم كذوب ؟
وها نحن نعلم انا بلغنا القمم
وسرنا على اوجها مرة ، ثم حان الاياب
وعدنا نجر قيود الالم
وندرك كيف تغير حتى التراب
تغير حتى الطريق
واصبح يرفضنا في ملال وضيق
وعاد يصب علينا ضباب جمود عميق

***

وعدنا نسير
نجر احاسيسنا الراكده
وتصدمنا الاوجه الجامده
نسير ، نسير
نحدق في اي شيء نراه
بهذا السياج المهدم او بسواه
نحدق لا رغبة في النظر
ولكن لان لنا اعيناً
نعلق ، لا شوق يغري بنا
ولكن لانا سئمنا السكون المخيف
ووقع خطانا الرتيبات فوق الرصيف
سئمنا فأين المفر ؟
ولا بد من ان نعود
فليس هناك مكان وراء الوجود
نظل اليه نسير
ولا نستطيع الوصول

بغداد نازك الملائكة

بغداد زرعت فلسفة

بقلم حسين مروة

●

نريد الآن ان نعود بالزمن الى عام ١٩٤٢ أيام كانت الحرب ملء الارض رعباً وهلعاً، وكانت ملء الأرض تقتيلا او تدميراً أو تجويعاً.

ونريد الآن كذلك ان نعود بالمكان الى العراق، الى عاصمة هذا البلد الشقيق الحبيب في ضفاف دجلة السمح المبارك.

نريد في هذه اللحظات القصار أن نتلاقى على هذا الموعد في بغداد، نطوف في شارع الرشيد من اقصاه الى اقصاه، تتطلع الى جانبيه من هنا يمنة ويسرة، فسنرى في بداية هذا المطاف الطويل، وفي نهايته، وفيما بين البداية والنهاية من هذا الشارع المديد.. سنرى هنالك حدائق صغيرات، وسيصعد بنا النظر في كل حديقة الى ربوة تنهض في وسطها، فاذا هذه الربوة قد اكتست حلة بهيجة منمنمة من الأعشاب والازهار النادية الضاحكة، تتخللها رسوم خطوطها الأعشاب، وملامحها الأزهار، تمثل العلم العراقي وشعار الدولة العراقية على أروع منظر، وأبهج الوان.

وسينتقل بنا النظر، بعد، الى قمة كل ربوة من هذه الربوات، فاذا هنالك فسحة صغيرة منبسطة نضدت فوقها بضع آرائك خشبية مصبوغة بلون الأعشاب الخضراء، واذا بنا ندرك فور النظر الى الفسحة والمقاعد أنها أعدت للجمهور يستريح اليها في ساعات الراحة والاستجمام.

ولعلك تقول الآن: حسناً، لقد طفنا في شارع الرشيد على ذلك الموعد من الزمن، فماذا افدنا من هذا المطاف؟

مهلا، ولا تعجل، افهل عرفت هذه الربوات الزهراء، وهذه الحدائق المنمنمة الضاحكة النادية؟ ترى اهذه ربوات وحدائق حقاً، ام هي تخفي وراء المظهر الأنيق حقيقة غير التي تبدي؟

لا، ليست هذه الربوات الخضر، والحدائق الزهر.. ليست هذه التي ابتهج بها قلبك، ورقت لها نفسك، وتلامعت لمرآها قسمات وجهك. ليست هي - بالواقع - كما رأيت، اي ليست هي حدائق ابتدعتها «أمانة العاصمة» - كما يسمون محافظة بغداد هنا - لكي تتأنق او لتبالغ بالتأنق عامدة من اجل التأنق وحده، ولكن هذه الحدائق والربوات تخفي حقيقة هي ابعد الأشياء عن قصد التأنق والتجمل، وهي ابعد الأشياء عن بعث المرح والبهجة في نفوس الجمهور، بل هي والبهجة على طرفي نقيض، ذلك لان وراء هذه الحدائق والربوات امراً يوحي الى الناس الزهد والتأنق والتجمل، والعزوف عن المرح والبهجة، امراً يبعث الهلع والجزع في النفوس، ويدخل الروع والقلق في القلوب. امراً يذكر النفوس بانهم عائشون في ايام تهددهم بالهلاك والدمار في كل لحظة، وانهم غير آمنين ان يفجأ اليتم اطفالهم والترمل نساءهم، او يفجؤهم الثكل وتنزل بهم ألوان الفجائع بين كل عشية وضحاها..

لأجل هذا الأمر الخطير أقيمت تلك الربوات الخضر والحدائق الزهر، افهل عرفت هذا الأمر؟.

تعال ندخل الى واحدة من هذه الحدائق، فسيواجهنا أول ما ندخل باب ضيق ينحدر عن هذه الربوة الضاحكة النادية، فلنقصد الى هذا الباب السحري العجيب، ولنمد باعناقنا من خلال الباب الى هذا الدهليز الرطب المظلم العفن، فماذا نرى بعد؟

اننا الآن نرى الى الحقيقة الرهيبة عارية لا تكسوها الربوة الضاحكة، ولا الحقيقة النادية، اننا نرى الآن ملجأ من هذه المجموعة التي اعدتها أمانة العاصمة، ليلتجيء الناس اليها اذا ما أغارت عليهم الطائرات الحربية من قاذفات الموت والدمار. نعود الآن الى الواقع المروع في تلك الأيام السود، اننا نذكر الآن ان الحرب ملء الأرض رعباً وهلعاً وقلقاً، وملء الأرض تقتيلا وتدميراً وتجويعاً.

نعم ان هذه الربوة المزدانة بالأعشاب الزاهية النادية، وبالأزهار الضاحكة الحالمة، هذه الربوة المطرزة بالوان الحسن والبهجة، هذه الربوة التي تقابل النفوس بالطمأنينة وتقابل الوجوه بالبسمات.. ان هذه الربوة نفسها قد اقيمت في هذه الحديقة الصغيرة على مرأى الجمهور في كل لحظة، لكي، تخفي تلك الحقيقة الراعبة، تلك الحقيقة التي تقول للناس، كلما اشرقت

عليها عيون الناس ، ان الحياة لا تصلح ، بعد،للطمانينة والابتسام ولا تصلح للتانق والتجمل ، وان الحياة ليست ، بعد اليوم ، الا حلماً قصيراً سيصحو الناس منه على ازيز طائرة تحمل الموت الزؤام .

ولو بقيت هذه الحقيقة عارية سافرة ، وبقيت هذه الربوة فوقها قفراء جرداء ، لماكانت غير شبح هائل يلاحق الناس اينما اتجهوا ليدخل في نفوسهم الفزع والقلق ، ولكن الآية انقلبت على وجه آخر حين اكتست الحقيقة هذه الحلة الأنيقة الموشاة ، وإنه ليبدو لك الآن ان وجه الشبح الهائل المخيف قد انمحى امام العيون ، وانقلب الى ربوة من ربوات الجنان يضاحك القلوب والوجوه ، ويغالط العقل والاحساس،وينشىء بهذه المغالطة فلسفة لطيفة يرى قوم أنها فلسفة صادقة نافعة ، وأنه لأجدر بالانسان ان ياخذ بهذه الفلسفة في واقع حياته ، وفي واقع احساسه وادراكه ، لكي يحتمل اعباءالحياة والحس والادراك بطمأنينة ورضا وابتسام ، وبامل وتفاؤل واغتباط .

لم تقصد بغداد ـ اذن ـ حين اقامت هذه الربوات الأنيقة والحدائق الموشاة ، ان تتانق وتتجمل ، لم تقصد بغداد ـ اذن ـ حين أحالت الملاجىء التي تكمن فيها اشباح الهلاك والدمار ، الى ربوات غناء وحدائق زهراء ، ان تهيىء للجمهور متعة النفس والنظر لأجل هذه المتعة بالذات ، ولكنها قصدت الى شيء آخر أعمق من ذلك وأوسع ، قصدت ان « تزرع » هذه الفلسفة التي تغالط الحياة والحس والادراك جميعاً ، قصدت ان تقول لهؤلاء الذين يهلعون من الحرب ويجزعون،الذين ينظرون الى واقع الحياة من هذا الباب الضيق المؤدي الى ظلمات الملجأ ، قصدت ان تقول لهؤلاء : انكم واهمون ، انكم ضيقون ، وان الوهم وان الضيق اللذين تسجنون فيها انفسكم ، هما مصدر شقائكم ، فبددوا اوهامكم ، ووسعوا على انفسكم قليلا تجدوا الحياة اكبر من اوهامكم وأوسع من هذا الضيق في نفوسكم .

الى هذه الفلسفة كان امين العاصمة يدعو اهل بغداد ، فلم يدعهم اليها باسلوب الوعظ والارشاد ، ولم يعبر عنها بالكلمات والحروف ، وانما لجأ الى هذه الطريقة المبدعة ، فزرع فلسفته اعشابا وازهاراً ، وقالت الاعشاب والأزهار للناس ، ما كان يريد ان يقول لهم « امين العاصمة » ولكنها قالته بهذه اللغة الحلوة الرائعة ، لغة الأعشاب والأزهار، هذه اللغة التي يفهمها الناس باحساسهم ومشاعرهم ، دون ان تحللها عقولهم ، ودون ان ترجع بها مداركهم الى مصادرها في منطق الحق والواقع .

اني لأراك الآن تجيل النظر بين الملجا المظلم والحديقة المنبسطة فوقه ، بين الحقيقة الرهيبة وبين حلتها الأنيقة الخضراء، بين الواقع المخيف الفلسفة التي تغالط الحس والعقل معا ..

وها اني اكاد اسمعك تهمس الى نفسك :

ترى ، أغيرت هذه الفلسفة شيئاً من حياة بغداد يومذاك ؟. أدفعت هذه الفلسفة عن اهل بغداد شيئاً من مكاره الحرب ونكباتها الشداد ؟. أبدلت هذه الفلسفة بمحنة بغداد نعمة ، وبضيقها فرجا ، وبشقائها هناء ، وبفقرها رخاء ، وباهلها أهلا ؟. أقلبت هذه الفلسفة معنى الحرب الى معنى السلم ،ومعنى القلق والخوف الى معنى الأمن والطمأنينة ، ومعنى العوز والفاقة الى معنى الترف والرفاهة ؟..

وها اني اكاد اسمع نفسك تهمس في ذاتها ، كانها تجيب عن كل ذاك :

لا ، لم تفعل هذه الفلسفة شيئاً من ذلك قط: لم تغير حقيقة، ولم تقلب واقعاً ، ولم تبدل معنى بمعنى، واذا استطاعت ان تخادع الحس وتغالط الادراك ، وان تصرفها معا ، بعض حين ، عن سواد المحنة وظلام الواقع ، فقد ظل الأمر كله ، اذن، في نطاق مخادعة الحس ومغالطة الادراك ، وهل كانت المغالطة لتحل مشكلة من مشكلات الانسان في هذا الزمان ؟.

الا ليت « امين العاصمة » قد زرع لبغداد ، يومئذ ، سلما، وامناً ، واستقراراً ، وعدلا ، وحرية ، بدل ان يزرع لها مخادعة الحس ومغالطة الادراك ؟.

ولكن ، هل كان الأمر بيد « امين العاصمة » حتى يزرع لبغداد السلم ، والأمن ، والاستقرار ، والحرية والعدل ؟.

هيهات ذلك ، لقد خرج الأمر كله من ايدي اهل العواصم في اوطاننا العربية ، بل في كل وطن على الارض ، لقد خرج الأمر هذا كله الى المحيط الأوسع ، الى هذا العالم الكبير الفسيح ، الى هذه الآلة الانسانية الضخمة التي تتصل اجزاؤها اتصالا دقيقاً عجيباً لا يصح معه انفصال ، وما نحن في هذه الآلة الكبرى ، الا جزء لا ينفصل عن اي جزء ، وما يحل مشكلتنا نحن ، الا ما يحل المشكلة الكبرى كلها ، شرط ان نكون نحن في هذه الآلة العاملة المفكرة جزءا عاملا مفكراً ، لا جزءاً عاطلا صدئاً ..

حسين مروة

مشبوهة الشفتين

مشبوهة الشفتين لا تتنسّكي — لن يستريح الموعد المكبوتُ
وغريزة الكبريت في طغيانها — ماذا؟ أيكظم ما به الكبريت؟
ان الشفاه الصابرات .. احبها — ينهار فوق عقيقها الجبروت
شفتان للتدمير .. يا لي منهما — بهما سعدت وألف الف شقيت
كرز الحديقة، عندنا، متفلق — قبلته في خده .. ونسيت
شفة كابار النبيذ .. مليئة — كم مرة .. افنيتها وفنيت !.
القبلة العمياء .. حين غصبتها — أخذت قي مني، فكيف بقيت؟
شفتان معصيتان .. اصفح عنهما — ما دام يرشح منهما الياقوت..
شفتان مقبرتان .. شقهما الهوى — في كل شطر احمر .. تابوت
الفلقة العليا .. دعاء سافر — والدفء في السفلى .. فاين اموت؟

دمشق — نزار قباني

كلما

رميت* بصري من خلال نافذتي العريضة ورأيتها تتكىء لثقلها على سور الحديقة الشمالي كريمة معطاء، ملتفة الاغصان ، فضية الاوراق ، روتها امطار تشرين فلونت خضرتها بسواد لامع.. اجل كلما عانقتها نظراتي واشتهيت لثمراتها مذاقاً ، قام بيني وبين رغبتي شبح ابي سليم ، يزهدني في الشجر ويشد يدي عن الثمر .

الزيتونة كما قلت احدى اغراس الحديقة . والحديقة من ملحقات داري التي يملكها او بالأحرى كان يملكها رجل من الناس يقال له ابو سليم . وصار الي حق سكناها بعد ان وقعت والرجل عقد الايجار وصار لزاما علي ان ادفع له كل عام اربعمائة من اوراق النقد اللبناني

اربعمائة ليرة ، كانت في حينها ثروة اذ اجرت الدار في وقت لم تكن الأرقام الخيالية قد عرفت بعد اوراق النقود. وصارت صداقا حقاً لكل بيت مهما اختلف حظه من الفخامة أو الحقارة ومهراً على المستاجر ان يدفعه صاغراً .

ولا باس هنا من ان استذكر واياكم كيف استقبلني ابو سليم حين تقدمت صفا من الحمالين دفعت اليهم بفرشي وحاجياتي لافتح لهم باب البيت الجديد ، كيف استقبلني برشاش من التاهيلات وفيض من الابتسامات وتقدمني الى البيت وراح يعرفني بالغرف واحدة واحدة ، ويوقظ انتباهي الى مزايا قلما تجتمع لملك غير ملكه ، مشيراً برأسه ويديه ورجليه معاً ، ثم يجرني الى الحديقة جراً ويقف بي امام شجرة الورد، واغراس الريحان ، واحواض النعناع ، ثم يقودني الى هذه الشجرة بالذات ويقول بلهجة فيها رائحة المنة ... شجرة تملأ عليك البيت زيتونا شهياً ، وفي حباتها غناء اي غناء عن الجبن والمربى هذا كله لك فبورك لك في الأرض والاغراس والبيت والشرفات .

اهلا ثم اهلا ثم اهلا ... هذا وزوج الرجل تطل علينا من شرفة بيتها المقابل وقد غطت رأسها بنقاب ابيض .. سحبت طرفه فحجب فمها الكبير ولكنه كان شفافا بحيث سمح لابتسامة بلهاء ان تبدو من تحته ..

كان ذلك في اوائل سني الحرب الكونية الثانية ولم تكن اسعار الحاجيات قد طفرت تلك الطفرة المجنونة التي قلقلت قلب الموظف واعصاب العامل والفقير ، هذا الغلاء الذي لم يكن مبعثه ندرة الحاجيات بل تضخم النقد في جيوب فئات قتل جشعها المادي من نفوسها كل شعور بالانسانية ... وابتدأت حرب الغلاء، ورحنا نشفق على ميزانياتنا كيف تتسع لكل هذا التضخم دون ان يتضخم رصيدها تضخما يكفل لنا كرامة الحياة

وادعكم من هذا فلست هنا في معرض الشكوى ، وليس بيت القصيد من حكايتي اني استعيد لكم جداول الطرح والقسمة التي كنا نسير عليها في رسم خطوط مصروفنا بشكل يسمح له بمماشاة هذا الغلاء، ولو على رجل واحدة .. اجل لن استفيض في ذلك كله فجل همي هنا ان ابعث لكم ابا سليم مصوراً اياه في غمرة انفعالاته الاقتصادية .





يطلع علينا الصباح، وتدب الحياة في الحي بكامله، وتاخذ قوافل الباعة تفد عليه، وهنا ترى ام سليم من الزم واجباتها ان تطل على البائعين من عل تسالهم عما يحملون وتستفهم عن الثمن الذي يطلبون ولو لم تكن لها نية الشراء حتى اذا ما توسمت في احدهم ليونة واشتمت في اسعاره رخصاً ملحوظاً بعثت بزوجها اليه فيهرول بقبقابه ولباس نومه الذي يبرز معه بطنه الاكرش بروزاً مضحكا ينتقي زاد يومه من الباذنجان والكوسى ثم يرتفع صوته الى السماء مفاصلا مساوما فاذا ما انتهى بعد اخذ ورد طويلين تعمد ان يقف قليلا في مواجهة دارنا ويقول : امرنا لله ... ها قد ازداد ثمن كيلو البندورة فرنكا عما كان عليه قبل ايام وثمن الخيار فرنكين ان الباعة لا يصدقون ان اجرة الدور باقية على حالها ...، ويقول هذا ويرفع بصره الى النافذة فاذا راني واقفاً تظاهر بانه لم يرني الا لساعته فيستمر في شكواه ويوجهها في هذه المرة الي:

كان الله بالعون يا جار، بالأمس ذرعت السوق على قدمي وقتلت الباعة سؤالا، كل شيء نار....من اللحم الى البيض الى التفاح .. الى الحرير الى اللفت

قصة

* اذيعت من محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية .

الى الجلود ... ما هذا الكفر ؟ ثم يخفض من طبقة صوته ويستطرد «ان مدخولنا ولا مؤاخذة قليل... ايه ربنا كبير...»

وكان ذلك من ابي سليم منولوجا صباحياً لا بد لنا من سماعه وكنت افهم ما تبطنه الكلمات وما يرمي اليه صاحبنا ومنذ ذلك التاريخ ابتدأت مضايقاته وانقلب بشره المصنوع فظاظة مطبوعة وراح يلمح بضرورة رفع اجرة البيت .

كان من الطبيعي ان ارفض ... لا لشيء الا لان راتبي نفسه لم تتناوله الزيادة ولاني كنت واثقاً من ان لابي سليم من الدخل ما يسمح له بان يضيف الى املاكه الكثيرة بيتاً جديداً في كل عام ... ولاني كنت ادرى الناس بمصروفه فهو يحيا وزوجه عيشة الكفاف ويلبس من اللباس اتفهه فما عرفته الا في بذلة رمادية لم ينزعها يوما واحداً فغسلتها امطار مواسم عدة واسبغت عليها الشمس اكثر من لون ، وطربوشه هو هو بلونه الحائل وطرفه « المزيت » ، اما الحذاء فلم يكن يعرف عدد انصاف النعال الملصقة به الا اسكافي الناحية .

ولم تكن حال ام سليم باحسن من حاله فحسبها من الدنيا ثوب واحد وقبقاب قلما تخلى عن معانقة اخمصيها المشققين لحذاء ، الا في المناسبات .

اما سليم فهو « اسم » تبناه اذ عز عليه الولد وامتنع عليه احد شطري زينة الحياة الدنيا ... وراح الرجل يصدر احكامه العسكرية ... الحديقة لم تعد من حقوقنا وهو حر في ان يستأثر بوردها ورمانها وزيتونها وان يزرع اديمها ما يروقه من فجل او بقدونس او خس ... وكان كلما غرس بذرة غرس معها لعنة على مستاجري ملكه ..

ولم تقف مضايقاته عند حد فطالما انتهز فرصة غيابي عن البيت ودخله بحجة تفقد الدار فيطوف بالحجرات متاملا جدرانها خشية ان تمتد يد صغير من صغاري فتمر على الجدار بقلم رصاصي . ويدخل الحمام متفحصاً الحوض والمرايا وينطلق الى المطبخ محملقاً في سقفه ومدخنته مختبراً كثافة السواد على الجدار ولا يلبث بعدها ان يخرج محمر العينين مزبد الشدقين يضرب كفا بكف قائلا ـ « ويل لبيوت سكنها غير مالكيها ، ولعنت هذه الحكومة الغشوم فلو اصدرت قانونا يحمي ظهور الملاكين لاقتلعتكم من هنا كما اقتلع الفجل من حديقتي ... اجل كما اقتلع الفجل من حديقتي » .

وكان لا بد لي من التسلح بالصبر ما دامت اعصابي على حساب هذا الجيب الذي كان يسبح بنعمة النظافة في اليوم الثالث من هذا الشهر فالنزوح من البيت ضرب من المستحيل مع ذلك الاملاق . ولزمت حدودي اتقاء لشره .. ومنعت صغاري عن الشجر والزروع ولكن هذا لم يرد « كالا » ثاني اطفالي ان يتسلق الزيتونة مرة ويستقر على غصونها فيبصر به ابو سليم ويقبل عليه مهدداً مكشراً عن نواجذه الصفر وقد ثارت في شفتيه زوبعة من السباب .. فارتعدت فرائص الصغير وهوى الى الأرض مرضوض الجسم ، مجروح الراس ، مكسور الساعد

وشغلت بابني عاما كاملا اصلح من جسمه ما افسدته ثورة ابي سليم وانفق على مداواته ما زادني ارهاقا على ارهاق الى ان عاوده نشاطه وصحته وان لم تعاوده جرأته وشغفه بتسلق الأشجار كما كان يفعل كلما راى نفسه في نجوة من عيون الجار . الى ان كان يوم تصنع فيه ابو سليم البشر واقبل عليه باشاً يرجوه ان يتسلق الزيتونة ليجمع له ما استعصى عليه من حب نبت في غصونها العاليات فما توانى الولد وقد آنس الالحاف من نفس الرجل فتسلقها في رشاقة كأن لم يكن بالساعد كسر او بالجسم رضة . وهم في ان يريح رجله على غصن رقيق غير ان الغصن لم يحتمل الثقل فانكسر وكادت الفاجعة تتكرر لولا ان ابصر به ابو سليم الذي كان يرقب عملية القطف فسارع منفعلا يحول بينه وبين السقوط فكان من نصيبه ان يتلقى الولد بجسمه فلا يتحمل قلبه الضعيف ثقله فيقع مائتاً لساعته .

وقد تبدو قصتي للسامع وليدة خيال خصب .. او صنعة قصاص يابى الا ان يفجر قنبلة في كل قصة يكتبها ولكن صدقوني بانها حقيقة مجردة يشهد على ذلك الشجرة القائمة بغصنها المكسور .. ولكن اليس عجيباً ان يكون غصن الزيتون الذي كان منذ كان نوح وكانت له سفينة كاد اليأس يغرقها حتى جاءها الغصن في فم حمامة بشير سلام .. سبب فاجعة يرويها سكان الحي كبارهم وصغارهم ثم يهزون رؤوسهم قائلين ـ « مقدر » ؟

ليماسول ـ قبرص **سميرة عزام**

غصن فلسطين

ترجمة نجاتي صدقي

☆

يوري ميخائيل لرمنتوف شاعر روسي عاطفي كبير ، هو جون كيتس روسيا بل هو في كثير من الأوجه بيرونها، ولد في ٣ اكتوبر سنة ١٨١٤ ، وقتل بالمبارزة سنة ١٨٤٢ ، فيكون قد عاش ثمان وعشرين سنة .. لكنه ترك مجموعة قصائد ، ومسرحيات ، وروايات شعرية تقدر بالفي صفحة .

وقصيدة غصن فلسطين هذه هي من رمزياته الجميلة ، يصور فيها حديثه مع غصن زيتون، حمله احدهم الى تلك الديار، وقد نشرت لاول مرة سنة ١٨٣٦

قل لي يا غصن فلسطين
اين نبت واين ازدهرت
واي تلال واي وهاد
زخرفت وزينت ؟
أداعبتك اشعة الشرق
عند مياه الاردن الصافية ؟
أهزتك رياح جبل لبنان
حانقة عاتية ؟
اكانت اوراقك الخضر
ترنم بهدوء وحنين
ام كانت ترسل اغاني الأقدمين
لابناء المقدس المساكين ؟
وتلك النخلة،الا تزال حية قوية
تخدع المارة في الصحراء
في صيف احر من الرمضاء
بسعوف تناطح السماء ؟
ام هي في الفراق اليائس
تذبل مثلك وتنطوي
وعلى اوراقها المصفرة
يرقد ثرى الوادي ؟
حدثنا ويد الله فوقك
من حملك الى هذه الديار النائية
احزن لفراقك وتألم ؟
وانت .. أتحتفظ بأثار الدموع
اللاهبة ؟
اكان حاملك جندياً
من جنود الدين المبرزين
اكان مثلك خليقاً بالسماء
امام الله والناس اجمعين ؟
عناية خفية تحفظك
يا غصن بيت المقدس
لتقف امام الايقونة الذهبية
وكانك للقديسين حارس
فالغسق الشفاف ، واشعاعات
القناديل والصلبان ، ورموز
القداسات هي من حولك وعليك
مترعة بالسلام والمسرات .

شمعة تحترق

✡

صدمت بحبيبها اذ نعاه الناعي فلجات الى الدير يأسا . ثم تشاء الأقدار وهي في دور التجربة قبل قبولها ان يعود لها حبيبها ولكنها وقد الفت معنى الحب السامي ـ الحب الالهي ـ تقرر ان تنذر نفسها نهائيا

لابراهيم العريض

✡

إيه يا دير ! والحياة ربيع   كيف مرت عليك تلك الليالي
بلا شجون

انت والنيرات فيك ، كأن الـ ـليل غالى بها ، فأخفى الغوالي
عن العيون

***

في جوار الأرز دير مطـل شبه خال ، في بياض الجبال
وكأن الثلج فوق ذراها ريط خود برزت.. لا تبالي ..
أيبين الشـدي خلف وشاح ام يغيب الجيد تحت اللآلي
قمم في النور ، امـا المرايا اسفل السفح ، فنبع الظلال
كل نجم ود فرط اشتياق لو توارى تحت ضوء الهلال
وجرى القطر كدمع العذارى من رآهن معاً في ابتهـال
فهـو يهمي ثم يهمي تباعا كل تال اول ... بالتتـالي
فـاذا الشـلال اول لحـن عبقري عرفته الليالي
فاذا جاوز متن رباهـا هبط السهل ... غزير النوال

لا ثلوج ، غير زهر وعشب
فوق شطيه ، فسال ضياء

ركعت في الليـل ذات مسوح رد عنهـا في الصلاة النقاب
في خشوع..فهي ـ يا ليل ـ طيف ماثل ـ مثلك ـ لولا الشباب
وحدها ... للنور بين يديها زهرات ، لا ترى ، وكتاب
يا له وجهـاً كزهر الاقاحي وجبيناً غام فيه اكتئاب
روحهـا في الدير تعبق نـداً لحبيب طال منـه الغيـاب

فهي ترنو خلسـة نحو ركـن طـال للمصلوب فيه العذاب
حوله للشمع نور ضئيل هو ليلا لحنها المستطأب
لكأن الشمع يبكي عليه هل ترى الأدمع كيف تذاب
« يا جبيناً كللوه بشوك ان قلب الورد فيك المصاب »

هي تبكي ـ مثله ـ لصليب
رفعـوه للـبرايا فـداء

صفقت بالبـاب في الدير ريح فانطفا المشعـل قوب المزار
اي زور جاء يطرق ليلا فاستفزت منه دون اختيـار
لـكأن الليل القى عليها في ثوان الف الف ستار
نهضت من ركنها في ذهول بنقاب ، فاذا الضوء وار
ولبرد الريح في راحتيها وهي توري الشمع لذع الشرار
وسرت بالشمع للباب هوناً دروه الراحة فالنور سار
كلما نور ركناً ضياه مال ظل ـ خلف ركن ـ يجاري
فكان الشمع بات يريها رقصة الأشباح حول السواري
لم تكـد تـدنو من الباب حتى ابصرتـ..ـه قائماً في انتظار

شهقة مخنوقة ، ثم حارت
حين ناداها: نعمت مساء!

ادركتـه باسطـاً راحتـيه وبعينيـه لهيـب اشتيـاق
انه الخدن الذي ودعتـه قبل عامين ، لغير تلاق
كم ـ بكته عبرة الشمع ـ حتى اوشكت تردى لطول احتراق
رضيت بالدير لمـا نعوه موطنـاً للصبر بعـد الفـراق
زعموا .. كالليل ظل يوالي غارة شعواء ، شد السباق
فوق رأس الخيل.. حتى تردى كسنا البرق ، انطوى في ائتلاق
الذكراه العزيزة عافت كل آمال الصبا ، وهو باق ؟
كذب الناعي .. فها هو حي .. هو حي في صباً وانطلاق

انه حي ... يرجى .. يرجى
كم بغت في الخلد هذا اللقاء !

« اصحيح انت حي معافى ؟ ام ترى عيني نهبى الظلام .»
قال : « اني انا خدن صباك سلمت عيناك لي. يا غرامي ! »
ومضى في الذكريات الخوالي هائماً في وجده والضرام
« كم جرت بي في نواك ليال لم اذق فيهن طعم المنام
ساهر ...في الاسر شرواك ، حتى عاد بي طير المنا بسلام»
وهي كالمشدوه بالقرب منـه في صراع الزاهد المستهام
تارة ترنو اليه حياء تارة تغضي بعزم الـكرام
بينما القلبـان رهنـا جهاد واذا صوت كطلقة رام :
« لا تذكرها بماضى هواها انت في حرمة هذا المقام

انس ما كان ، فمن حل ديرا
عاد لا يملك حتى الرجاء »

امـل ما كاد يبسم حتى غـص بالدمعة فهو شهيد
وربيع لم يطأ غير ثلج عبثاً تخفي خطاه الورود
هـو من عاشت له بالتـاسي سيواريه بعاد جديد
ما الذي تفعل ، لا الدير عش لحبيبين ، ولا اليوم عيد
وهي قد ضحت بكل حبيب في سبيل الله لا تستزيد
وعلت في نفسهـا صرخات وعـرا الجسم انهيار شديد
فقدته حين قالوا : صريع ويعود الآن . فهي الفقيد
واستعـادت وعيهـا بعـد لأي طرفهـا عن ربها لا يحيد
لم تكد تنشدها الصبر* حتى رددت ، والصبر فيها جديد

رب غفرانك ، قد كدت انسى
كيف ألهمت «البتول» العزاء !

غادر الغـادة مغمي عليهـا ، والعذارى حولها مطرقات ،
مثـل معنى شمعها في نحول واصفرار ، بين ايدي الاساة
ومشى عنها يجر خطاه في اناة . حائر النظرات
جامد الدمعة .. الا انيناً ذاب منه قلبه ... حسرات
عائداً من حيث جاء وحيداً ذاهل اللب ، قليـل التفـات
واضعاً راحتـه فوق صـدغ ضـاع فيه كل معنى الحياة
انه يسمـع ، والريح صـر مـن بعيد ، جوقة الاخوات
« يا جبيناً كللوه بشوك بعدك الورد بلا نفحات ! »
فيرى آماله كالضحايا بين ماض لا يرد ... وآت

حيث يلقي طرفه ، وهو سار
لا يريه الثـلج الا شتـاء

حملت ... تحت عيون العذارى وهي من غشوتها في سباة
لمصـلى منـه كانت تناجي ربها المصلوب بالعبرات
هن يطرحن عليهـا غشـاء طـالمـا بورك بالقبـلات
وتولت ربة الدير تلقي للعـذارى وعظهـا في اناة
ان للحب لديهن معنى هو اسمى من جميـع الصفـات
ما له بالجسد الحي شان هو كالنور وفوق الحياة
كل من لانت بصبر جميل هتف الباري لها : انت ذاتي !
وتفتق الخود بعـد قليل من كراها لاقام الصلاة
حولها زنارها ، فهي عرس زفها الموت لرب الحياة

ويظل النجم يرصد نجما
بات في المحراب ثمة مضاء

حمل الصبح اليها حنيناً لم تعره بادىء الامر اذنا :

***

« ايه ربي ؟.. لو رحمت زهوراً وفؤاداً في هواك معنى
انا لن انساك طول حياتي كيف انساك ، وللحب معنى
وبحق الموت ـ والموت حق ـ لم أضق ذرعا به حين عنا
كنت في الموت بحبك حيـاً فتقحمت الردى مطمئنا
كنت امس احلم حلماً قرة العينين . لو دام حسنا
واذا بالروض لا الزهر زاك في مجاليه ، ولا الغصن يحنى
ان تصلي بعد يومك هذا فاذكريني في صلاتك حزنا

او تكوني قد انرت لحيني
شمعة الدير ، فعيشي هنا ! »

فاجابته برد قصير كان أصداء لذاك الحنين

***

« يا ابن أمسي .. عدت لي مثل حلم ذهبي ، فاضطربت لحيني
أحمد المولى .. اعادك حياً كان منعـاك يثير شجوني
سوف تبقى في صلاتي معنى أتمـلاه بدمعي الهتون
فانسني ، انس َ التي تتمنى لك في دنياك عيشاً .. بدوني »

***

وتلقى ردهـا ، بين خـوف ورجاء ، ظنه كاليقين
قال : « يا قديستي ـ ولديها عشت او مت سواء ـ أيني

أفهذا كل حظي منك ؟
أين عقبي ما احتملت وفاء ؟ »

انها قديسة .. من يراهـا اذ نعاه البرق ذات أصيـل
هل يحس الشمع خفق حشاها كلما اهتز بنور ضئيل
ومضت تذكر ما رجعته للأماسي ، منذ عهد طويل
« يا جبيناً كللوه بشوك كل ورد فيك بادي الذبول ! »
وتراءى حلمها كبتول فاستعـاذت منه بابن « البتـول »
وأدارت طرفهـا نحو رمز طالما دانت له بالمثـول
فاذا في موضع الرمز وجه بات يرعاها بطرف كليل
فارتمت ولهى على قدميه هل لحب ضائع من قبول
يا لهـا تجـربة لم تخنهـا طلعت منها بصبر جميل

***

من رأى هالة نور عليها اذ أتمت وردها في ذهول :

« ان قلبي فيك قد ذاب حبا
فاغتفر لي ـ رب ـ هذا البكاء »

ابراهيم العريض — البحرين

* صاحبة الصوت

ما الثقافة وكيف تطورت ؟

بقلم حسين علي الدافوقي
استاذ بدار المعلمين الابتدائية ببغداد



للكرة الارضية عمر مديد ، تعرضت خلاله الى تطورات عديدة ، واضيفت الى كيانها المادي مظاهر حيوية ، واتخذت الحياة بدورها اشكالا متباينة الى ان تكونت مادة اخرى ثالثة هي ما فوق العضوية Superorganic ، ومن هذه العوالم الثلاثة تكونت الارض وما عليها ومن عليها . ثم توالت العصور وتقدمت تجارب الانسان ، وازدهرت معارفه ، وتعددت دراساته لهذه الكائنات فصارت دراسة اللاعضوية بوجه عام من مجال بحث العلوم الطبيعية كالكيمياء والفيزياء ، والفلك ، والجيولوجيا اما العضوية فقد كانت من اختصاص العلوم البيولوجية « الحيوية » كعلم الحيوان والنبات ، وعلم النفس . وقد تناولت العلوم الاجتماعية الناحية الثالثة « هي ما فوق العضوية » .

ولم تكن هذه الدراسات المختلفة منفصلة ولا مستقلة عن بعضها وانما كانت تربطها ببعضها اواصر متداخلة ومترابطة الى حد محسوس[(١)]

الثقافة والحضارة

يتميز الانسان عن غيره من الكائنات بناحيتين اثنتين : احداها بالتكوين الطبيعي ، والاخرى بالتراث الاجتماعي او الثقافة . اما الناحية الاولى فقد نجح في دراستها علم الانثروبولوجي [علم دراسة الانسان] الطبيعي الذي صنف الاجناس البشرية تبعاً لتكوينها الجسمي وخصائصها الفسيولوجية . واشترك في دراسة الناحية الثانية علما الانثروبولوجية الثقافي[(٢)] وعلم الاجتماع معاً وتضافرت في سبيلها جهودها ، الا ان هذه الجهود لم تسفر حتى الان عن التمييز الواضح بين اصطلاحي الثقافة Culture والحضارة Civilization بصورة جلية مرضية فبقي الالتباس ماثلا للعيان حتى وقتنا الحاضر ، غير اننا نرجو اذا ما استعرضنا التعاريف الشهيرة المختلفة فيما يأتي ان نلقي بصيصاً من الضوء على هذا الالتباس ونكشف شيئاً من قناع الغموض والاشكال .

يقول E. Sapir : يبدو ان الثقافة تستعمل من حيث الاساس في ثلاثة معان او في ثلاثة حقول[(٣)] : —

اولا : الثقافة في استعمال علماء الاثنولوجي [علم دراسة الاجناس البشرية] وتاريخ الثقافة : وهي في عرفهم كل ما توارثه الانسان خلال حياته الاجتماعية من عناصر مادية ومعنوية ، وعلى هذا الاعتبار تشمل الثقافة اساليب الصيد عند اكثر الشعوب البدائية كسكان استراليا الاصليين ، وقبائل البوشمن في جنوب افريقيا ، والمعارف الطبية لدى الهنود الحمر ، وانواعا من الروايات التراجيدية [المأساة] في اثينة بريكلس كما تشمل الدانيامو من الصناعة الحديثة . فان كلا مما ذكرناه يعتبر عنصراً من عناصر الثقافة واثراً من آثار الحياة الجمعية للانسان . وبالرغم من التباين الموجود من التعقيد بين الكتل البشرية فان لكل كتلة منها ثقافة خاصة بها

ثانياً : والمعنى الآخر لها وهو اكثر انتشاراً وتداولا من الاول ، يجري فيما يتعلق بحسن السلوك والتصرف وكيفية الاداء مما يجعل هذه الصفات تسبغ على الشخص شكلا لطيفاً ويبعث حوله جواً بديعاً .

ثالثاً : اما تعريفها في الاستعمال الثالث فانه اكثر تعقيداً من

(١) Ogbern and Nimkoff; Handbook of Sociology. Kegan Paul

(٢) مادة Cultur في دائرة معارف العلوم الاجتماعية .

(٣) E. Sapir; Culture, Ganuine and superious. American Journal of Sociology Vol. 29, No. 4, 1924

التعريفين السابقين. فمفهوم الثقافة في هذا التعريف يشترك مع التعريف الاول اذ انه يهتم بالقيم المعنوية للجماعة اكثر من اهتمامه بما لدى الفرد منها، هذا من جهة، ومن جهة اخرى يشترك مع التعريف الثاني فيما يتعلق بالتأكيد على عوامل متميزة ذات معان و نظام ويتم اكثر من غيرها من العوامل الاخرى على اعتبار ان الثقافة هي كل - كما هي في عرف الانثولوجيين - وانها في حالة جريان وتغير دائمين، وهو يهتم بهذه المعاني والمعايير الخاصة لانها تؤثر في صميم الثقافة وتكوينها المعنوي .

ان الغاية التي يهدف اليها هذا المفهوم الثقافي، حصر المظاهر الخاصة بالمدنية والاتجاهات الحيوية والمواقف العامة التي تحقق لاي مجتمع من المجتمعات الانسانية على الكرة الارضية مركزاً متميزاً ضمن التعريف الواحد الشامل . ونقطة الضعف في هذا التعريف انه لا يشمل سوى الجانب المعنوي من المدنية دون الجانب المادي الامر الذي يبعده عن الصحة الى حد بعيد .

ومن التعاريف القديمة المقبولة لدى الكثيرين، تعريف E. B. Tylor، ويفيد ان الثقافة كل متماسك من المعرفة والعقيدة والفن والاخلاق والقانون والعادات، واية كفايات اخرى اكتسبها الفرد باعتباره عضواً من اعضاء المجتمع الذي ينتسب اليه[1]

ويلاحظ في هذا التعريف انه كسائر تعاريف الانثولوجيين، شامل حداً يشمل كل ساحات الحياة الانسانية . اما Redfield فيعرفها بانها « كيان منظم من مفاهيم مصطلح عليها تتجلى في الفن وفي كل ما هو فني، وانها راسخة في ثنايا التقاليد، تجعل المجموعة البشرية تسلك سلوكا معيناً[2] »

والانثربولوجي المعروف C. Wissler يقول « الثقافة هي طراز الحياة التي يحياها شعب من الشعوب » كما يقول آخر « ان عالم الثقافة هو ما اوجده الانسان ذاته طوال التاريخ في سبيل معرفته كيفية ادارة اموره وامور الطبيعة[3] »

ويذهب العالم الانثروبولوجي الالماني المشهور Thurnwald الى ان « الثقافة هي نظام متكون من الاطوار والقوانين والعادات واشكال التعبير وتحديدات للقيم، والمؤسسات والمنظمات، اسفرت عنها التطورات التاريخية التي مرت بها البشرية » اما الحضارة فهي تفيد معنى الحصول على معارف متراكمة ووسائل فنية . او

(1) E. B. Tylor; Primitive Culture. Newyork; Brintan's 1924. Seventh edition P. I. Capud; Ogbura and Nimkoff: Op. Cit.

(2) Ogburn and Nimkoff; Op. Cit.

(3) Kindall Young; A Inlroductory Sociology 1939

بتعبير اوجز « الثقافة طور haltung معين والحضارة معرفة وقدرة على العمل »[4]

ويأتي مكايفر بتعريف قريب من تعريف Thurnwald، وعلى نحوه يحاول التمييز بين الاصطلاحين فيقول « ان عناصر الحضارة تتكون من كل انواع الوسائل التي يستعملها الانسان وعلى رأسها الوسائل الفنية الصناعية « التكنيكية » للوصول الى هدف معين ولتحقيق فوائد معينة، بينما غاية عناصر الثقافة هي بالذات نفسها فانها لا تكون وسائل لاغراض أخر، الا لنفسها. ويعرفها بانها نقيض الحضارة، تعبير عن طبيعتنا في انماط معيشتنا وتفكيرنا وفي اتصالنا اليومي وفي الفن والآداب والدين والتسلية والاستمتاع[5] . ولا تنكر على القارىء ما يراه من الصعوبة في مطالعة هذه التعاريف التي استقيناها من الموارد المهمة المتيسرة لدينا، كما ان التعاريف الاخيرة الحديثة ايضاً لا تخلو من مسحة الاستغلاق والالتباس مع شدة الحاح اصحابها على التفريق التام بين الاصطلاحين وعلى ضرورة تحديد كل منها بحدوده الخاصة به

نشأة الثقافة

نشأت الثقافة عن حاجات اصلية رئيسية وقد نتجت عن هذه الحاجات حاجات اخرى جديدة[6] ولما كانت الثقافة ميزة انسانية فان اصلها يكمن في هذه القدرة السامية التي يتمتع بها الانسان وهي القدرة على التعلم من تجاربه وخبراته، ونقل ما يتعلمه بواسطة رموز اهمها اللغة والكتابة[7].

يدعي الاركيولوجيون وهم ثقات هذا الموضوع بان اقدم بوادر الثقافة ظهر على الكرة الارضية منذ مليون سنة[8] . فعمل الانسان في سبيل حياته على تغيير مستمر فيما يكتنفه من ظروف الحياة وحاول في كل نقطة تقابل فيها مع المحيط ان يخلق محيطاً ثانياً فنياً فأنشأ له بذلك مسا كن يلتجيء اليها وجهد في تجهيز ماكله وملبسه استجابة لمتطلبات المعيشة مستخدماً في

(4) Thurnwald; Werden, Wandel und Gestaltung Von Staat un Kultur im Licheet der Völkerforschung. Capud; Dr. In. Turhan's Theris submitted for the Degree of R. D. in the University of Cambridge.

(5) مكايفر: المجتمع «ترجمة عبد المجيد عباس» ح أو النسخة الاصلية بعنوان « Society »

(6) Maslous; A theory of Human motivation. Psychological Review July 1943

(7) مجلة « الثقافة » المصرية العدد ٦٠٨، ٢١ اغسطس سنة ١٩٥٠ أو مادة Culture في «قاموس علم الاجتماع» ترتيب الاستاذ Fairchild

(8) J. F. Cultur: Sociology. (D. Appleton - Century Company, N C.)

في ذلك ما لديه من الوسائل والادوات كما قام بتعبيد الطرق واستعمل وسائل النقل والمواصلات .

ولم تقتصر جهود الانسان على الانتاج المادي بل أردف ذلك بالانتاج الفكري . فالمعرفة ضرورية في الانتاج والادارة واستعمال الادوات الفنية والاسلحة والمنشآت الأخر ، كما أن ضرورتها مرتبطة بالتهذيب العقلي والاخلاقي وبما فيه القوانين والقواعد الاخلاقية والدين . فان تملك البضائع يستلزم التقدير للاثمان ، كذلك استهلاكها يتطلب التعاون . وان الاعمال العامة وما تتولد منها من فوائد تستند الى تنظيم اجتماعي معين . وهكذا فالثقافة المادية تحتاج الى ما يستكملها من المعارف الثقافية للتنظيم الاجتماعي واللغة والقواعد الاخلاقية والقيم الروحية[1]

نمو الثقافة

ان الفترة الطويلة التي مر بها الانسان والتي اوجدت لنا هذه المدن المترامية الاطراف ، وهذه النظم الصناعية العظيمة ، قد نمت خلالها الثقافة وتراكمت عناصرها . فصنع الانسان ادواته الحجرية في صورة بسيطة وبسيطة جداً ثم ادخل عليها تحسينات اخرى جعلها بها اصلح واوفق من ذي قبل . هكذا استمر الانسان يتفنن في صناعتها ويجعلها اصلح فاصلح الى ان اهتدى الى استخدام العظم فصنع منه ادوات كثيرة ثم اضاف اليها ادوات اخرى من العاج ومن بعد ذلك توصل الى طرق المعادن التي عثر عليها وهي نقية من الشوائب فاعمل النار في تصفية الخليط منها . وهكذا كان شان الصناعات والنظم الأخرى من حيث النمو والتراكم كما حدث مثلا بالوظائف التي تقوم بها الدولة وباداة المحراث نقد اضيفت الى كل منها مخترعات مختلفة كثيرة .

يحصل النمو الثقافي عندما يزداد عدد العناصر المضافة الجديدة على عدد العناصر المندرسة القديمة وعلى هذا الغرار يكون نمو الطفل وذلك بزيادة عدد حجيراته النامية الجديدة على الحجيرات الميتة من جسمه .

ويصطلح في المجال الثقافي على العنصر المضاف الجديد بتعبير « الاختراع » ويكون ذلك عند اول ظهوره فقط . وحين يدخل الاختراع في حيز الاستعمال والاستخدام يرمز اليه « المقوم الثقافي » وعندما يكون استعماله اعتياديا وشانه مالوفاً يعد شيئاً ميكانيكياً او عنصراً اصطناعياً اعتيادياً . غير ان مصطلح الاختراع لا تمكن انتصاره على الجوانب المادية من الحياة فحسب انما يجوز اطلاقه على المخترعات الاجتماعية ايضاً كالابتكار في وضع تنظيم جديد لمحاكمة الاحداث او الابتكار في رقصة من الرقصات الشعبية او في ساحات أخرى من الثقافة غير المادية كمقالة مبتدعة في الادب وما شاكلها .

ينمو التراث الاجتماعي بطريقة الزيادة المطرد ، في اعادة استعمال العناصر الموجودة او باضافة عناصر اخرى جديدة ، بصرف النظر عن تكرار استعمالها . مثله في ذلك مثل التجارة الخارجية التي يمكن ان يقال عنها بانها تنمو سواء اذا بيعت واشتريت نفس المواد على نطاق واسع ام فيما اذا اضيفت مواد جديدة الى السوق الخارجية اكثر مما يعرف منها .

وبجانب الاضافات الجديدة في تيار النمو الثقافي ، توجد خسائر طفيفة وذلك في زوال بعض العناصر التي كانت مستغلة في عهود معينة ثم اذا هي تختفي عن الانظار وتدخل في حيز النسيان على نحو ما حدث بفن التحنيط عند المصريين القدماء ، وصناعة الدروع التي كانت شائعة في الاقطار الا ان هذه الخسائر

(١) مادة Culture في دائرة معارف العلوم الاجتماعية.

كما ذكرنا نزرة طفيفة جداً اذا ما قورنت بما يحدث في المخزن العام للثقافات الانسانية من التطورات العظيمة .

وهناك ظاهرة اخرى يمكن ان نسميها « بالتنحية الثقافية» وهي ان اختراعا حديثاً ينحي او يقصي من ميدان عمله اختراعا آخر او يقوم مقامه . وهذا لا يعني بالطبع ان كل اختراع حديث معناه تبديل شيء بشي آخر اذ لوكان ذلك واقعاً بالفعل لحدث تغير في الثقافة من غير ان تنمو وتتوسع ، والواقع ان التوسع الثقافي يستلزم ان يكون الاختراع الجديد يمتاز بشيء او باضافة شيء الى الاختراع الذي يحل محله كما حدث في اختراع الادوات العظمية واضافتها الى الادوات الحجرية وعندما استعملت الادوات المعدنية في نطاق واسع جعلت الادوات الحجرية والعظمية منها في حيز الاهمال. وبنفس الاسلوب ازاحت السيارات الخيل من شوارع المدينة ما عدا حالات خاصة يستعمل فيها لجر العربات كعربة الحليب وما شاكلها . الا ان استعمال السيارات لم يقض على استعمال الحصان بشكل نهائي لان العربات لا زالت موجودة تستخدم بنطاق واسع في البيئات الريفية . وهكذا يلاحظ ما سميناه بالتنحية وتصحبها ظاهرة التراكم، ونفس القاعدة تسري على الثقافات غير المادية كالنظم الاجتماعية ، والعادات والاحتفالات وغيرها .

مبدأ الاستمرار

ليس بمقدور الانسان ان يقدر النمو الثقافي من دون ان يسلم على ان كل ظاهرة ثقافية جديدة هي وليدة ظواهر ثقافية اخرى موجودة وان كل اختراع من الاختراعات ليس الا نتيجة خطوة تطورية معينة . فالموقد الحديث المريح مثلا مصنوع من الفولاذ ، والفولاذ بدوره محصول التحسن في صناعة الحديد . والبندقية الحديثة انما هي بندقية قديمة اجريت عليها تحسينات جديدة . وقد تكون هذه التحسينات خلال مدة قصيرة من الزمن او انها تستغرق عصوراً طوالا . فالمسافر الى باريس يشاهد هناك قوس النصر ، وهو قوس عظيم وجميل جداً نصب للاحتفال بانتصار نابليون . على ان الواقع هو ان الفرنسيين لم يخلقوا شيئاً من هذا القبيل من لا شيء اذ ان آثار الاقواس التي اقامها الرومان منذ عشرة قرون لا زالت ماثلة في كثير من المدن الاوربية ، بل اليونان قبل الرومان شيدوا لمدنهم المسورة ابواباً عظيمة تحاكي هذه الاقواس ، وذلك للاحتفال بعودة جيوشهم المنتصرة من ساحات الحرب ، فاقواس النصر والحالة هذه لها تاريخها الممتد الى عدة قرون .

وقس على هذه الامثلة ، النواحي غير المادية فلا يمكن مثلا تحقيق مشكلة اجتماعية الا بالرجوع الى ماضيها وتدقيق التطورات التي مرت بها ، لذا نقرر ان كل اختراع نعتبره جديداً ما هو الا خطوة في مضمار سلسلة التطور الامر الذي يذكرنا بالقول المأثر « لا جديد تحت الشمس » .

وتحاكي مبدأ الاستمرار قاعدة الاخصاب العرضي — Gross Fertilization ومعنى ذلك ان كل اختراع من الاختراعات ناشيء عن الاجزاء الحالية من التراث الاجتماعي ، فاجتماع جزءين او اكثر ينشيء شيئاً جديداً وهو الاقتراع[1] .

الانتشار Diffusion

يبدو ان الثقافة تتلقف عناصرها الجديدة من مصدرين: اولا من المخترعات التي تحصل في داخل المجتمع نفسه وفي داخل الدائرة الثقافية الشاملة لذلك المجتمع . ثانيا : من العناصر الثقافية الجديدة الواردة الى الثقافة من بعض المجتمعات الاخرى[2] وللثقافة قابلية الانتشار من قطر الى آخر او من جانب من الثقافة الى جانب آخر Diffusion ، وقد تزدهر في اصقاع محلية معينة كالثقافة الفرنسية والايطالية ولكن المناطق الثقافية غير منفصلة تماماً بعضها عن بعض . فهي دوماً في تماس واحتكاك[3] ولم يكن احتكاكها قاصراً على الازمنة الماضية فحسب انما يكون جارياً بصورة مستمرة على مر العصور[4] .

---

(1) Ogburn and Nimkoff; Op. Cit.
(2) J. F. Cuber; Op. Cit .
(3) Ogburn and Nimkoff; Op. Cit
(4) Rivers : Psychology and Ethrnology 1929.

وهذا يعني ان اختراعا في منطقة من المناطق يمكننا بسهولة ويسر ان ننتقل الى كل المناطق الاخرى كما حدث في اختراع السيارة ، فقد اخترعت في المانيا ثم نقلت الى بقية انحاء العالم . والحضارة الاوربية الحالية نفسها مدينة الى حد بعيد الى حضارة الرومان واليونان ، واليونان بدورهم اقتبسوا اشياء كثيرة من كريت وكريت من مصر ، ومصر وكريت واليونان كلها مدينة ايضاً الى وادي الرافدين كما ان وادي الرافدين نفسه كان باتصال مع الهند والصين وغيرهما في بلاد الشرق .

وبهذه المناسبة يمكن القول ان الانعزال عقبة كؤود في سبيل قاعدة الانتشار ، اذ كلما كان القطر اكثر اتصالا مع غيره من الاقطار بالاضافة الى ما لديه من المخترعات ، ذلك بخلاف الحالة عند المناطق المنعزلة المقتصرة على ما لديها، والمنقطعة عن الاتصال مع العالم الخارجي .

نمو الثقافة السريع

لا شك ان التطور الثقافي في عصور ما قبل التاريخ كان بطيئاً بالنسبة لما هي عليها في العصور الحديثة . فقد ازدادت سرعة التقدم عندما استغلت المعادن في خدمة الانسان وخاصة في الازمنة التاريخية حيث استخدمت تغييرات واسعة في نطاق الثقافة المادية ولكن لم يشهد اي عصر من العصور ما شاهده القرن التاسع عشر والعشرين من هذه التطورات المادية السريعة حيث وجدت السكك الحديد عام ١٨٣٠ والترام في ١٨٨٠ والاتوبوسات في ١٩٠٠ وبدأ التغيير العظيم يبدو حتى بالاشهر ، ويرجع السبب في هذا التغيير في معدل النمو الى الزيادة في المقدرة البشرية العقلية . فمهندس اليوم يحمل مقدرة عقلية اعظم بكثير مما كان عليه الانسان القديم في مشاريعه الهندسية .

والى العلاقة الوظيفية بين كيان المعارف الموجودة ومعدل الاختراع . فكل اختراع يعتمد في بدايته على العناصر التي تكون منها فان اختراع الطائرة مثلا اعتمد على معرفة هندسة الاحتراق الداخلي . وان اختراع حساب التفاضل والتكامل استند على الوقوف على الهندسة التحليلية . وهذا بدوره يعلل لنا قلة الاختراع لدى انسان الكهف وكيف ان العناصر الثقافية التي يمكن ان يستعين بها في الاختراع كانت قليلة اما الانسان الحديث فكثير الاختراع لانه يمتلك معلومات واسعة في حقول متعددة من الرياضيات والفيزياء والكيمياء وسائر العلوم ، يستطيع بالتركيب فيما بين هذه المعارف ان يأتي بالمخترعات .

العوامل المؤثرة في النمو الثقافي

التنظيم الاجتماعي : وهو من اعظم العوامل المؤثرة في الثقافة خاصة ما يتعلق منه بنظام الدولة فاذا ما انتظمت الدولة والحياة الاقتصادية انتظاماً جيداً تتمهد عندئذ السبل كافة لحركة الاختراع ، تلك التي من شانها الازدهار في تلك الظروف

الموقع الجغرافي : ومن الممكن ان يكون الوضع الجغرافي عاملا مساعداً للتقدم الثقافي . فقد ساعد واديا دجلة الفرات على ازدهار المدنية في العراق القديم ، كما ساعد موقع جزر بحر ايجه عند ملتقى القارات الثلاث واقتراب الجزر بعضها عن بعض على التقدم الثقافي في هذه الاصقاع .

ولا ينبغي ان يغرب عن البال بان ملاءمة الوضع الجغرافي تختلف تبعاً لمرحلة الثقافة السائدة فعندما اصبحت القوارب ضخمة وعندما اكتشفت امريكا اضحى موقع انكلترا الجغرافي ادعى وانسب للتقدم الثقافي منه ايام كانت القوارب صغيرة والسفرات البحرية مقصورة على المسافات القصيرة . وكذلك كل المناطق الغنية بالفحم والحديد اصبحت في وضع انسب للتقدم عندما استخدمت القوة البخارية في الانتاج . ففي هذه المرحلة من التطور الثقافي كانت انكلترا تزخر بما لديها من معادن الفحم والحديد وتمتاز دون ايطاليا واليونان اللتين بالاضافة الى فقرهما في معادن الفحم والبترول والحديد ، لا تقربان من المناطق الغنية بهذه المعادن مثل امريكا والدول الاسكندنافية .

كما ان هذه الكميات العظيمة من الفحم لم تكن تستفيد منها انكلترا ايام غزوات الانكليز لان استخدام الفحم في الانتاج كان مجهولا لدى السكان ، على نحو ما كانت الموارد المعدنية الغنية في امريكا غير مستغلة من قبل السكان الهنود لان ثقافة هؤلاء في تلك الاثناء لم تبلغ مرحلة استغلال المعادن واستخدام القوى الميكانيكية في الانتاج .

واما النظرية العنصرية حول التقدم فليس لها اي نصيب من الصحة . لان قيادة الثقافات خلال عصور التاريخ كانت تتنقل بين مختلف البلاد ، وكذلك اختلف التقدم الثقافي في قطر واحد من وقت الى آخر وفقاً لظروف ذلك القطر ، لذا فالعوامل الاساسية في الرقي الثقافي يمكن حصرها في عوامل : التنظيم الاجتماعي ، والوضع الجغرافي والثروات الطبيعية وامكانيات الانتشار ووضع المواصلات دون العامل العنصري الذي فقد كل اهمية وظهر بطلانه في ضوء الدراسات العلمية الحديثة .

بغداد — حسين علي الداقوقي

* Ogburn and Nimkoff; Op. Cit

ذكرى ليلة

☆

الى صديقي الشاعر الاستاذ البير أديب

●

لفؤاد الخشن

من اسرة الجبل الملهم

☆

اذاكر انت سنى ليلتنا المؤلقة
ومن سرت بقربنا وقع خطى مزقزقه
رفيقة بنقرها الرخامة المزوقه ...
تمسها في نقلة الولهى وبر المشفقة
كجؤذر يمشي على درب حصاه قلقه
تضمها غلالة شفيفة ملتصقه
تخاف ان تفر من انملها المطوقه
ويفلت الطري من اغلاله المضيقه !

●

اذاكر لفتتها العميقة المستغرقه
ونفضة الدلال من شعورها المحلقه
تمسحها انملة نحيلة مؤنقه
كشمعة بيضاء يلويها اللظى ... او زنبقه

●

قد اشرقت فكل هاتيك الوجوه مشرقه
وسلمت وتمتمت عبارة مختنقه
واطرقت...من شاهد الاقمار خجلى مطرقه
تكاد ان تذوب من عيوننا المحدقه
تبصر ما تحجبه الغلالة المرققه
وتطبق الهدب على ذهل الشفاه المرهقه
كأنها تقول في ضم الجفون المطبقه :
« ما زهرة الشقيق من اكمامها مفتقه
وبرعم الورد مع الامال يذري شفقه
امام هذي الشفة المغناجة المندلقه
كفلقة شهباء من رمانة منفلقه !! »

●

وهمس الواشي !...فيا ثمل الهوى من مزقه
فودعت ثم مضت غدائراً مصفقه ...
هكذا ... قد ذهب الورد وابقى عبقه
على فم يعب من مدامة معتقه
ويشعل الاكواب من انفاسه المحرقه !

●

انجمة حيية مرت بنا منزلقه
وغلغلت تتيه في سمائها المنمقه ؟
ام في الكرى جنية خلف الغيوب المغلقه
لاحت لنا ...ثم مضت في افقها منطلقه !



قاتل ابنه

للكاتب الالماني جاكوب واسرمان
Jacob Wassermann

تلخيص وتعريب
رمزي مزيغيت

ديستروج قاضياً قديراً وافر الذكاء واسع الخبرة في عالم الاجرام، وقد ترك في مذكراته القصة التالية –

في ليلة من ليالي اكتوبر دخل فلاح يدعى آدم اورباس الى مركز بوليس جانزنهاوزن وابلغانه في ذلك اليوم بالذات وفي قريته آها ذبح ابنه سيمون البالغ من العمر ١٧ سنة وتركه يسبح في دمائه . ثم قدم للمسئولين السكين التي ارتكب بها الجريمة وكانت الدماء لا تزال عالقة بها . وقد ادلى اورباس باعترافه في صوت هادىء رزين ورفض التصريح بالمزيد من التفصيلات . وقام البوليس على الاثر باجراء التحريات فتبينت له صحة البلاغ ووجدوا الزوجة في البيت مذعورة لا تعي من امرها شيئاً . واودع اورباس السجن رهن التحقيق . وبدت لي القضية في بادىء الامر سهلة لا تعقيد فيها . فالامر لا يعدو ان فلاحا قد تخلص بحكم طبعه الجافي ومحيطه الجاهل من ابن فاسد جلب له المعرة والشقاء فنفذ فيه العدالة بنفسه ليضع حداً لتعاسته المتصلة . وقد شهد الشهود ان سيمون كان عديم النفع فاسقاً كسولا لا عمل له ولا هم سوى التنقل من حانة الى حانة ومعاشرة الافاقين واللصوص . وكان هذا الضرب من الحياة يستلزم مالا كثيراً فكان اذا لم يستطع الحصول عليه من امه يبحث عنه بطرق غير مشروعة . وكانت آخر صولاته ان غانية من الغواني اوقعته في حبالها وحملت منه فقادها يوما الى مكان قفر وحاول ان يخنقها لولا ان سمعها بعض العابرين تستغيث فهرعوا الى نجدتها وانقذوها من براثنه . واظهرت الشهادات فوق ذلك ان سيمون في طفولته لم يكن احسن منه حالا في شبابه . فقد كان يتميز بالكراهية والموجدة ويعتمل في نفسه حقد مرير لا يرجى منه خير . واقر الجميع ان غرساً شريراً ثابت الجذور كان ينمو ويترعرع ولا يرجى استئصاله باي حال من الاحوال .

وقد بدأ آخر فصل من هذه المأساة في حانة من حانات جانزنهاوزن حيث كان فلاحان جالسين يتحدثان عن قضية سيمون والغانية وعن الاوامر التي صدرت للبوليس للقبض عليه . وكان والد سيمون جالساً بالقرب منهما دون ان يعرفا ذلك . فاتجهت انظار الحضور اليه في ترقب وقلق فرأوه يضع كاسه على الطاولة في هدوء ويهب واقفاً يزمع الخروج وكانه لم يسمع شيئاً . والواقع ان اعمال سيمون المشينة كانت تخفى عن والده ما امكن وكان مسلك الوالد المترفع وهدوؤه الدائم والمنزلة الرفيعة التي يحتلها في القرية والجوار قد اقامت بينه وبين الناس جداراً منيعاً . حتى زوجته كانت تخفي عنه طوال هذه السنوات انباء ابنه السيئة وتخفف من هولها ما امكن . ولكن الناس كانوا مخطئين في ظنهم بانه لم يكن مطلعاً على حقيقة الامور . وقد نجح آدم في التمويه عليهم واخفاء حقيقة شعوره ونواياه عنهم بما اسبغه على نفسه من هدوء متكلف وعدم اكتراث خادع .

وعاد اورباس الى بيته في تلك الليلة ليجد زوجه مهمومة مكروبة وقد نقلت اليها احدى القرويات النبأ المشؤوم . وانتحى اورباس ناحية النافذة ليتفادى النظر في وجه زوجه ثم راح يذرع الغرفة طولا وعرضاً يرقب عودة ابنه . ولم يلبثا ان سمعا وقع خطواته على الطريق فهبت الزوجة لملاقاته ولكن اورباس اوقفها مكانها بنظرة صامتة حادة . ودخل سيمون البيت مترنحاً وهو يكيل اللعنات على رأس والده . وقررت الزوجة فيما بعد ان اورباس كان ينتفض ساعتذاك كعصفور بلله القطر . وصعد سيمون الى غرفته وبعد قليل تبعه والده . وتملك الزوجة رعب قاتل افقدها القدرة على الحركة . وادلت بعد الحادث بان المقابلة طالت الى ساعة ثم عادت فقررت انها لم تدم لاكثر من ربع ساعة دار خلالها بين الوالد وابنه حوار حالت الابواب المغلقة بينها وبين سماعه . وثبت فيما بعد ان السكين كانت تخص سيمون، ولكن هل كان سيمون يحملها او انها كانت في الغرفة فتلك مشكلة ظلت غامضة لان اورباس التزم الصمت ولم يزد على اعترافه الاول ما من شأنه ان يلقي على القضية ضوءاً . على اني لم اعر هذه الامور في بادىء الامر ادنى اهتمام . اذ كانت القضية على



غاية الوضوح ، والدوافع الى الجريمة بينة جلية . فالابن فاسق شرير لا يكاد احد يرثي لنهايته السريعة . والوالد رجل حاد الطبع عنيد هاله ان يحط ابنه من قدره وينال من شرفه فنفذ فيه العدالة التي يفهمها . الا ان اهتمامي بالقضية بدأ يزداد تدريجاً عندما عنيت بدراسة اخلاق آدم اورباس وماضيه ..

كان آدم اورباس ينحدر من اسرة عريقة يرجع تاريخها الى القرن الرابع عشر ؛ فتزوج وكله امل في ان ينجب ولداً يحمل اسمه ويرث امواله واملاكه. ولكن الأقدار شاءت ان تخيب امله فمر على زواجه ١٣ عاماً دون ان تنجب له زوجته الوريث الموعود. فراعه ذلك وهاله ان تنتهي شجرة آل اورباس عنده ، وطوى نفسه على الم ممض وثورة صامتة . ولكنه تذرع بالصبر فلم يشك او يتذمر او يظهر شيئاً من حقيقة شعوره اذا ما دار الحديث حول هذا الموضوع . وجرت قافلة الأيام والسنين وهو على هذا الحال من الهدوء ، والصبر لا تبدر منه كلمة عنف او تنديد. وكل ما كان يفعله انه كان في نهاية كل شهر ينظر الى زوجه نظرة متسائلة تطوي في اعماقها رغبته المكبوتة . وقد تبدر منه هذه النظرة في الحقل او في الكنيسة او في الغرفة وهو في فراشه نظرة عادية يرسلها من تحت حاجبيه الكثيفين لا تحمل وعيداً او تأنيباً .. فاذا ما ادرك الجواب عاد الى سابق هدوئه وصمته. وكانت الزوجة تنتظر هذه النظرة مرة في نهاية كل شهر وكانت تقابلها في بادىء الامر بقلة اكتراث وعدم اهتمام . ولكنها مع مر الأيام والاعوام اخذت تتألم وتثور وباتت تنفر من زوجها وتتفادى رؤيته ما امكن ، وكان اشد ما يؤلمها ذلك السكوت الرهيب والصمت المخيف.. أو لم يخلق له الله لساناً للتعبير عما يعتمل في نفسه ويجول في رأسه ؟ ومر ١٣ سنة على هذا الحال. واخيراً جاء يوم حملت فيه الزوجة ومضت لبعلها تزف اليه البشرى وانتشى اورباس وهلل واهوى بيده من شدة الفرح على كتفها فصرخت متألمة.. فانثنى اليها يربت على ظهرها برفق ولين. ثم فرض عليها الراحة التامة وجاءها بخادم تقوم على رعايتها وخدمتها .. وحلت ساعة الوضع واطل سيمون برأسه على الوجود. ولكنه نشا وترعرع كغيره من ابناء الفلاحين وترك لشأنه دون توجيه او ارشاد وكانت ثورات الطفولة وشذوذها وامراضها تهمل ولا يعنى بها بل ينظر اليها على انها تجربة تحمل في طياتها الجواب على ما يبتغون. الا انه لم يكن يخفى على الباحث المتعمق ما كان يعتمل في نفس الوالد من قلق وترقب وكأنه ينصت للنبض يضرب في عروق الطفل؛ وقد ترك هذا القلق على وسعه اثاراً ملحوظة ولم يكن اغفاله المتكلف لأقوال سيمون وحركاته ليضلل الفاحص المتقصي . فقد كان في الواقع لا يفوته شيء من ذلك بل يحصي كل صغيرة وكبيرة تبدر من طفله . وقد ادركت هذه الحقيقة بعد ان غصت عميقاً في دراسة مفهوم اورباس للعلاقة القائمة بين الأب والابن .. فقد كان اورباس يفهم انه فلاح اصيل بل السيد الوحيد والمالك الحق لأرضه يأكل ثمارها وينعم بخيراتها . فكان لا يتعدى بناظريه حدود املاكه التي حافظت عليها سلالته من سالف العصور. وكانت هذه الأملاك في نظره كل شيء في الوجود، وهي تستلزم وجود سيد قدير يديرها ويحفظها سليمة لمن يرثها من ولده .. هكذا كان اورباس يفهم الحياة فهاله ان يجد ابنه الوحيد فاسداً ضالا لا يصلح لادارة ملكه من بعده .

وعلى هذا الاساس اخذ غموض القضية ينجلي شيئاً فشيئاً، ولكن بقيت هناك نقطتان في حاجة الى ايضاح لم يشأ اورباس ان يلقي عليها شيئاً من الضوء بل رفض ان يدافع عن نفسه او يعاد النظر في قضيته. فقد ثبت بعد الفحص ان الجثة لم يبد عليها اثر للمقاومة او العنف وان السكين كانت تخص سيمون نفسه . وكان الوالد قد قرر بادىء الأمر انه انتزعها من حزام ابنه وقتله بها ثم عاد بعد ذلك فقال بانه وجدها على الطاولة في الغرفة. ولما ابديت له دهشتي من تناقض اقواله اكتفى باطراق رأسه ولم ينبس ببنت شفة.. وكان بوسعي ان اكتفي باعتراف الوالد الصريح وبشهادات الشهود عن سوء سيرة الابن، ولكن الواجب دعاني الى استجلاء ما خفي قبل ان اصدر حكمي الأخير. واخيراً تراءى لي ان افضل وسيلة لفك عقال لسانه ان اتجرد من صفتي القضائية وان اواجهه مواجهة رجل لرجل، وكنت اتوقع من ذلك خيراً اذ كان الرجل قد بدأ يأنس الي لكثرة اتصالي به ولرغبتي البادية في مساعدته.

فزرته يوماً في سجنه ووجدته جالساً يقرأ الانجيل ، فلما رآني وضعه جانباً واقبل علي . فقلت له ــ لقد جئت لزيارتك كصديق لا كقاض يسعى الى ادانتك ، فاعترافك صريح ولا حاجة بي الى جديد. وكل ما هنالك اني شعرت برغبة ملحة في زيارتك دون ان اعرف لذلك سبباً فدعنا نتحدث في هدوء كصديقين قديمين . فقال ــ وما نفع الحديث. لقد كان ما كان وانتهى الأمر قلت ــ ولكن هل الذي حدث كان ضرورياً ؟ فاجاب ــ ما من شك في ذلك قط .. فقلت ــ ليست المسالة مسالة شك فحسب بل هناك مجتمع يمج فعلتك ويزدريها . فلو ان كل والد يريد ان

ينفذ العدالة في مثل هذه القضايا بنفسه فقل على المجتمع السلام . قد تستطيع اقناع نفسك وديانك الاعلى بعدالة فعلتك ولكن هنا المجتمع ايضاً يطلب منك الايضاح .. فقال ـ وماذا لو كانت تعوز المرء قوة الاقناع والايضاح ؟ قلت ـ ولم تعترف بان الكبرياء هي التي تمنعك عن ذكر الحقيقة ؟ فاطرق قليلا ثم قال ـ وماذا يضيرني ان يج المجتمع فعلتي ام لا . فسيمون ابني وانا الذي اوجدته . وقد ترقبت نموه سنوات طوالا وكلي امل ورجاء. فلما خاب رجائي وضاع املي وضعت لشقائه وتعاستي حدا بيدي . فقلت ـ اولم تلحظ عليه مصيره الى الشر من بادىء الامر، فلماذا لم تقوم اعوجاجه وتهديه الى الطريق القويم .. فحدجني بنظرة قاسية وقال ـ وما نفع ذلك ودمه الذي يجري في عروقه فاسد منذ البداية .. ان كثيراً غيره من الاطفال ينشاون مثله من غير رعاية او توجيه ولكنهم لا ينقلبون الى منقلبه . لقد كان مثل سيمون مثل بذرة فاسدة لا يرجى منها اي نفع او خير .. فقلت ـ قد تاتي البذرة الفاسدة ثمارها بالتعهد وحسن الرعاية . فهل حاولت مخلصاً اصلاحه وايقاظ هاجع ضميره ؟ فاجاب بحدة ـ ان اللسان يا سيدي لا يسيطر على الجوهر . فالعين الضريرة لا ينير لها اللسان الطريق . لقد حاولت امه طويلا ارشاده بالكلام فاذا لم يستمع الى صوتي من خلال صوتها فما جدوى حديثي اليه ؟ اذا كان الولد لا يدرك ما يريد والده من غير ارشاد وكلام فلن تنفعه حتى عظات الانبياء .. وماذا ينفع التوجيه الى الصلاح اذا لم يكن الصلاح من طبيعته ممزوجا بدمه ؟ وهل تجدي رعاية النبتة اذا كانت جذورها فاسدة ؟ ان خير ما تعمله ان تقتلعها من اصولها قبل ان تمتد العطب الى ما يجاورها . وسكت اورباس وشردت نظراته ، فلم اشأ ان اقطع حبل افكاره فتركته يلح فيها علها تقوده الى التصريح بما اريد . فقد كونت نظرية خاصة في الموضوع وقد اخذ اقتناعي يزداد شيئاً فشيئاً . ولكن سكوته طال فاقتحمت عليه صمته وسالته ـ اذن فقد دخلت الى الغرفة ونيتك ان تقتلع تلك النبتة الفاسدة ؟ ولم يجب وابت شفتاه الانفراج ولكن جبينه انفتح لعيني ككتاب مفتوح وقرأت فيه كل ما اريد . وفجأة قلت له ـ انك تكذب ، لقد ذهبت الى الغرفة مرتين وعندما غادرتها للمرة الاولى كان سيمون لا يزال حياً يرزق فلما عدت اليها ثانية وجدته جثة لا حراك بها . ونظر اورباس الي نظرة هلع وخوف وقد فغر فاه ورفع يديه الى عنقه يتحسسه. فتاكدت لي شكوكي وتابعت ـ لقد دخلت عليه في المرة الاولى لتعطيه الفي فرنك استدنتها من جارك على امل ان ياخذها ويرتحل عنك الى اميركا .. اليس كذلك .. وكنت تتوقع ان يصغى اليك ويطيعك دون تردد .. ولكنه ابى ان يصغي اليك ورفض مالك .. فلما سالته عن السبب انطلق يتحدث . وكان حديثه في بادىء الامر مشوشاً مختلطاً شان السكارى . ولكن كلماته لم تلبث ان اخذت تتضح لك وتحز في نفسك . فوقفت منصتاً الى ما يقول ثم كان ما كان .. اليس كذلك ..؟ فرد علي متلعثما وقد صعقته الدهشة ـ لا بد انك كنت معنا بوسيلة شيطانية ـ فاجبت ـ لا ليس في الامر سحر ولا شياطين . وانما هي نتائج بسيطة لحقائق مختلفة . فلقد شاءت الطبيعة ان تكون تصرفات

الانسان متشابكة في حلقات متصلة . ولقد كان بيدي في بادىء الامر اثر واحد لم اعره اهتماما كافيا الا بعد حين وعندئذ انجلت لي الامور . ا‌لعلك ما زلت تذكر تلك الانية الصينية التي اختفت يوماً من بيتك وقدرت ان سيمون سرقها ليبيعها ويستفيد من ثمنها . والواقع ان سيمون سرقها واتفق مع صديق له ليبيعها الى احد التجار . وبينما هما يتساومان اذا به يخطفها من يده ويضرب بها الارض صائحاً - بودي ان الحق بهضرراً اجسم وانزل به الماً ينفذ الى اعماق قلبه . ولم يدر الصديق في بادىء الامر من كان سيمون يعني ثم ادرك وفهم وصرح لي بانه لم ير في حياته ولداً يضمر لوالده من الحقد ما كان سيمون يضمره لك . وقد لفتت هذا الموجدة وهذه التصرفات نظري فرحت ابحث عن اسبابها وعلاتها حتى ادركت الحقيقة التي غابت عن العالم وعنك حتى ليلة الجريمة . لقد كان ابنك يسعى الى من يفهمه ويفضي اليه بمكنونات صدره ولكنك انصرفت عنه وتركته يتخبط في ظلام . واطلق اورباس من صدره تنهدة عميقة وأحنى رأسه فوق صدره . وتابعت قولي - لو تمعنت في الامر لادركت ان الانسان في هذه الناحية اسوأ حالا من الحيوان . فالحيوانات لا تسيء فهم بعضها البعض اما الانسان فيسيء فهم اخيه الانسان في الفكر والعمل . ولا يستثنى من ذلك اخ او صديق او اب او ابن . لقد عشت ١٣ عاماً وهمك الاول ان تنجب ولداً ، ولما رزقته قضيت ١٨ عاماً اخرى حتى فهمته وكان الوقت قد فات . او ليست الحكمة البشرية امراً محزناً ؟ فلماذا اذن تحمل نفسك وزر جريمة لم ترتكبها ولماذا تهم نفسك بقتل من شاء ان ينتزع روحه بيده فراراً من الحياة ؟ بل ولماذا تصر على مخادعة عدالة الارض ؟ فقال اورباس اما وقد كشفت النقاب عن الحقيقة فساخبرك بجلية الامر.. لقد ذهبت اليه في المرة الاولى لأمده بالمال ويفر من رجال البوليس . وكان راقداً في فراشه فلم يتحرك عند دخولي او يكترث بي فصحت به - هيا قم وقف في حضرة ابيك . فاجاب دون ان يأبه لقولي - ولماذا اقف لك وانت سبب سقوطي وعثرتي ؟ فنظرت اليه ونظر الي ثم تابع يقول - لقد كان وجودك يدفعني الى الحضيض من يوم ولدت . وهذا الصمت وهذه النظرات القاتلة اليس لها حد او نهاية .. لقد دفعتني هذه النظرات الباردة الى طريق وعرة المسالك مظلمة . لم اسمعك يوماً تدعوني باسمي او تجلس لتحدثني . فانصرفت عنك الى من اجد عنده السلوى والحديث . لطالما رغبت في الجلوس اليك والتحدث معك ولكن الخوف منك كان دوماً يبعدني عنك ويقذف بي الى اخوان السوء والرذيلة . اني فاسق شرير ما في ذلك شك . ولكن هل ولدت كذلك ؟ لقد كان همك دوماً ان تكون السيد المطاع والآمر الناهي ولكن هل فكرت يوماً في انك قصرت في اداء واجبك نحوي انا ابنك لقد كانت روحي مفعمة بالحب والعاطفة فقتلتها بقسوتك وصمتك وسودت الدنيا في ناظري .. ثم استدار نحو الحائط واخذ يبكي ويهذي . وعقدت الحقيقة المرة لساني فلم انبس بكلمة . وتسللت خارجاً الى الحديقة ورحت اتجول في ارجائها شارد اللب مبلبله . ثم حدثتني نفسي بالعودة اليه والتحدث معه مهما كلفني الامر من مشقة وعناء . فعدت ادراجي ودخلت الغرفة لأجده سابحاً في دمائه .. ووقفت الى جانبه برهة طويلة ثم قلت لنفسي - ما دامت هذه نهايته فانا قاتله وما دام قد وجه الي هذه التهمة فعلي ان احمل عقوبتها ..

هذه قصتي كاملة غير منقوصة .. قال آدم هذا ثم طوى يديه على صدره وعاد الى سابق صمته . ولم اعلق انا على قوله بشيء ونظرت اليه متاملا فهالني ان اراه قد شاخ فجاة وهرم في غضون دقائق معدودات . ثم استاذنت منصرفاً ولكنه لم يجب ولم يتحرك وعندما جاءه السجان في صباح اليوم التالي وجده يتارجح في حبل علق به نفسه .

ليماسول - قبرص

رمزي مزيغيت

غموض

•

الى متكتمة ...

☆

نامي مع السر الدفين خلف الاباء المستكين

وتلفعي بالمستحيل وأوصدي باب الحنين

واذا دهاك البوح يا سمراء باللحن الحزين

قولي له : سر في سبيلك انهم يتربصوني

واذا سجا ليل الكآبة فوق اهداب الجفون

ولمحت طيفي هائماً ما بين اشباح السكون

قولي لطيفي عد حذارك من اعاصير الشجون

* * *

هذا التكتم بعض ما ارجو، وارجو ان تكوني

في برجك العاجي غموضاً في غلائل من ظنون

وانا كذلك إن مررت على ضميري او يقيني

سأطارد الذكرى واكفر بالصبابة والفتون

مصطفى محمود

من اسرة الجيل الملهم

في الادب الاميركي المعاصر

مقدمة عن هنري ميلر

بقلم جهاد فاروق الشريف

اثر الحرب العالمية الأخيرة ذاع في فرانسا صيت كاتب اميركي هو « هنري ميلر » ولا عجب اذا واتته الشهرة في باريس واوربا قبل موطنه الأصلي، لأن اميركا بين الحربين الأخيرتين؛ ضاقت ذرعاً بادبائها الأصيلين وفنانيها الكبار لأسباب عديدة، منها سياسي، لأن هؤلاء الكتاب تناولوا الوضع الاجتماعي والسياسي والاخلاقي والاقتصادي في الولايات المتحدة بالنقد والتجريح، فاضحين المآسي التي يعانيها الشعب في مقاطعاته المختلفة وولاياته، معلنين عن الأزمة الروحية التي يعانيها الجيل الناشىء من يأس وتشاؤم، ليس في اميركا وحدها فحسب وانما في العالم كله منددين بمصير الانسان في الحضارة الحديثة فاتهموا بالخيانة الوطنية والانهزامية والادب الأسود. كما ان الرجعية كان لها اثر كبير، لأن المؤسسات الدينية والثقافية التي تدعي صيانة الأخلاق والآداب العامة على حساب حرية الفكر، ابت ان تفسح المجال حراً لكثير من هؤلاء المفكرين والادباء والفنانين الواقعيين الذين ارادوا ان يتحدوا عوامل الجمود والفساد في الوضع الاجتماعي ويرسموا له صورة بعيدة عن الزيف، تنقل للملأ حقيقته وتنشرها امام المسامع والأبصار مهما كان فيها من قسوة وفظاظة وتحد للقيم والمفاهيم السائدة

لهذا اضطر معظم ادباء اميركا الى الهجرة الى اوربا، يلتمسون فيها مأوى يتيح لهم حرية التعبير، فاقام «همنجوي» في اوربا مدة طويلة اثر الحرب الاولى، وتجنس ت.س. اليوت بالجنسية الانكليزية وظل «ازرا باوند» في ايطاليا، و«لويس برومفيلد» و«جرترود ستين» في فرانسا وعاهد اكثرهم نفسه ان لا يطأ ارض الولايات المتحدة، وكان من بين هؤلاء هنري ميلر الذي ضاقت به سبل العيش والحرية في اميركا ولم يجد متنفساً له إلا في اجواء باريس، فلم يتح له ان يحيا حياته المنشودة إلا فيها، كما لم يتح لأفكاره ان تنطلق وتنتشر إلا في اوساطها وبيئاتها

كان ميلر في الثالثة والأربعين من عمره عندما نشر سنة ١٩٣٤ كتابه « مدار السرطان «Tropique du Concer» باللغة الانكليزية في باريس لأن اي ناشر اميركي لم يجرؤ على طبعه. وفي باريس نفسها سنة ١٩٣٩ نشر كتابه الثاني « مدار الجدي Tropique du Capricorne » ثم اتبعها بكتابه الثالث « الربيع الأسود ».

> ليست لي الان حاجات. فانا رجل لا ماضي له ولا مستقبل. انا موجود، وهذا كل شيء. اني اسخر مما تستمرئون ومما تشمئزون، لا يهمني اقتناعكم او عدمه، بان ما اقوله مطابق لهذا ام لا.
>
> هنري ميلر
>
> من كتاب «الربيع الأسود»

وقد وافته الشهرة عقب الحرب الأخيرة؛ فاخذ الجنود يعودون الى الولايات المتحدة حاملين اليها كتبه الممنوعة كما ان السائحين وزوار باريس من الأميركيين اخذوا يشترون كتبه وينزعون عنها اغلفتها حتى لا تعرف ويعودون بها الى مدنهم وقراهم لتباع باغلى الأثمان في اسواق نيويورك وهوليود السوداء وغيرها حتى بلغ ثمن الكتاب احياناً ثلاثين ضعفاً.

اما اسباب هذا المنع والتحريم فترجع الى الالفاظ الواضحة الصريحة التي يستعملها والى حديثه المكشوف عن كل ما يتعلق بالامور الجنسية. فهو يقص الحادثة دون اي قلق على الألفاظ او اهتمام بما اصطلح عليه من التحفظ في التعبير عن شؤون الجنسين حتى ليصل احياناً الى حد الفحش والاقذاع اللذين قل ان يرى القارىء لهما نظيراً في المؤلفات المبتذلة التي تهدف الى اثارة الغرائز باسلوب رخيص. ولعله مدين بشهرته لدى الجمهور في بعض الأحيان الى هذا الخطا الكبير الذي وقع فيه الكثيرون ومن بينهم بعض كبار الكتاب فاصدروا حكمهم عليه من خلال الصفحات الفاحشة التي يمر بها القارىء اثناء مطالعته والتي هي في حقيقتها جزء يجب ان لا يفصل

عن مجموع انتاجه الذي عاشه هنري ميلر حياة حقيقية ، وقدمه للفكر والقرن العشرين خلاصة لتجربته وعصارة لدمه الذي يعيش ماساة العصر الحاضر باعمق آلامها وفواجعها .

ورغم كل ما يقال عن حرية الفكر الكبيرة التي يتمتع بها الادباء والمفكرون في فرنسا ؛ فان باريس التي حاكمت «فلوبير» على قصته « مدام بوفاري » وبودلير على ديوانه «ازهار الشر» لم تطق السكوت على هنري ميلر فثارت عليه المؤسسات التي تزعم حماية الفضيلة مثل «مؤسسة العمل الاخلاقي والاجتماعي Le cartel d'action morale et sociale وطلبت الحكم على الكاتب والناشر وسحب المؤلفات من ايدي الجمهور ، مستندة الى «قانون العائلة» وثار جدال طويل حول هذا الموضوع تناولته الصحف والمجلات وادلى المفكرون والادباء والنقاد رأيهم في هنري ميلر بمناسبته . ولئن انقسم الناس الى فريقين بشانه ، قسم ينادي بعبقريته وآخر يطلب احراقه، فان الجمهور كما قال « جاك بيري » في مجلة « كاروفور » لم يزدد الا اقبالا على هنري ميلر وتعرفاً على حقيقته .

ودعمه في محنته جميع الكتاب والمفكرين صوناً لحرية الفكر وقداسته عن ان تمسها يد الرجعية والمحافظة فاستنكر جان بول سارتر هذه الحملة قائلا: «حماقة! لست احب ميلر كثيراً لأني اجده مغالياً بعض الشيء.. غير ان كتبه لا يهدف الى الاستثارة وربح المال ، فهذا هو تصوره للعالم... من الغلطة فتح تحقيق سيؤدي بصورة آلية الى الحكم عليه ، هذا الحكم الذي لا صلة له ابداً برأي الفرنسي المتوسط» كما استنكر ذلك «جان كوكتو» و«فرنسيس كارغو» وكثيرون آخرون .

ومهما كانت نتيجة المحاكمة إلا ان هذه الغمرة انجلت عن ميلر مفكراً حياً ، راسخ الثقافة وطيد القدم فيها خلافاً لسائر ادباء امريكا المعاصرين، عانى مشكلة القرن العشرين وتجاوب مع حضارته واراد ان يرسم صورة جديدة للانسان الحديث ويجد له مخرجاً شان كبار المفكرين والفنانين.

ولقد قال عنه «جورج باتاي» في مقال افتتاحي في مجلة «النقد» صدر في حزيران ١٩٤٦ وبلغ الخمس عشرة صفحة : « بمناسبة الكلام عن ميلر تحدثوا عن «لا اخلاقية شنيعة» لكن ليس في ذلك دون ريب غير مظهر سطحي . فكتبه الطريفة المهياة لأن تدخل سوء التفاهم ، جديرة بعودة هادئة اليها بعد القراءة الاولى. ان هذا «المسخ من اللااخلاقية» هو قديس ايضاً ، وفكره الساري مع الهواء، الذي يتفتح على كثير من الحقائق المائعة ، يدرك في غالب الأحيان وبسرعة البرق اكثر الأسرار خفاء .

ان هذه الكتب في اعماقها تريد منا ان نقرأها كما اراد منها المؤلف « سعي للبحث عن القيمة الاخلاقية المفقودة » ولكن البحث عنده كما هو عند «بروست» لا يتميز في شيء عن الحياة ان لها معناها بصفتها تقتصر على التعبير عن الحياة، منذ الطفولة الى الأيام التي كتبت فيها »

هذا ما قاله احد كبار رجال الفكر في فرنسا ومدير مجلة «النقد» التي هي طليعة المجلات. كما ان الناقد «جورج فيلا» وضع كتاباً خاصاً عن ميلر اسمه « ميلر والحب» استعرض فيه اسلوبه واتجاهه ووضعه حلقة في سلسلة الذين قدموا حلا لمشكلة الانسان الحديث ، وربطه برجال الفكر القلقين على مصير الانسانية خلال عصور التاريخ .

دمشق **جلال فاروق الشريف**

قلب شهيد

يا رفاق .. يا رفاق !!
خطوا لهذا القلب لحداً ،
فلقد ضاقت به انسام الحياة !!

مهدوا له بالصخر ، فلقد كان قلباً جلداً ، كافح آلام دنياه حتى خر في الميدان، لم يتقهقر ، ولم يتضعضع ولم يهن !!

.. وابذروا فوقه بذور الريحان ، لا تخشوا عليها ، فان دماءه ستخصب هذه الصخور ، فتنبت في اجلادها الزهور والرياحين .

.. وانثروا حوله حبات القمح ، تنمو وتترعرع ، وتصبح سنابل ، تهوى اليها العصافير الساغبة ، تطعم وتصلي من اجل هذا الشهيد !!

.. وسووا فوقه مجلساً، يتفيؤه محبو الحياة من ابنائها وعشاق جمالها، يترشفون هنا لذيذ الأسمار ، فيهفو لها من بين أطباق الثرى !!

لكنني اناشدكم الحب .. يا رفاق !!

اناشدكم الحب ان تضحوه بالعطر ، فقد كان قلباً طهوراً ، لم تنطو حناياه على حقد او ضغن ، ولم تدنسه المطامع الحياة التي تعمي وتصم ، ولم تحمل طياته حقداً ولا بغضاء .. إلا سلاماً ورحمة للعالمين ، وبراً ووفاء بالانسانية !!

وأستحلفكم بالشباب .. يا صحاب !!

أستحلفكم يا شباب أن تكفنوه بالورود الحمراء ، فقد قضى شهيداً ، صرعته يد حمراء مخضبة بدمائه لا تزال !!

واستهديكم الوداد ..

أستهديكم الوداد ان تناموا عن ثاره .. جدوا وراء الجاني على شبابه، فاذا ظفرتم به فترفقوا .. إنه نادم، دق صدره ـ اسفاً ـ باليد المخضوبة بالدم المطلول ، فتركت في الصدر الناهد آية حمراء شاهدة عليه .. الى يوم القصاص !!

ترفقوا .. فانه ما جنى عن عمد ، ولكنه سهم طائش، ريش للهو، فانطلق عن قوس بريئة .. فما حيلتها اذا صادفت قلباً يحوم حول ملاعبها ، ويرفرف على مرمى سهامها ؟ !!

واوصيكم بما بين جوانحكم من قلوب شابة ..

اوصيكم ان تقيموا له جنازاً عجباً !!

سجوه في نعش من العشب اليانع ..

واحملوه على كواهل الولدان البررة الأطهار .. وشيعوه في مهرجان بهيج ، تتبعه الصبايا اليافعات ، وتزين حواشيه العذارى النواهد، يملأن الموكب بالضجيج الصاخب، والحديث المعطر عن قلبي الشهيد!

.. عساهن ان يكفرن عن خطيئة جنسهن ، ويستغفرن من جناية واحدة من أترابهن على هذا الفؤاد البريء !!

.. وأقيموا الأعراس على ذكراه ، فقد اشتهى من الحياة أفراحها .. لكن الحياة بالغت في قسوتها عليه ، فلم تدع له أن يفرح !!

وأسعدوا روحه الوديعة التي قضت العمر باحثة عن السعادة فلم تهتد اليها ، ولم تهنأ بها ، لأنها لم تفتش عنها بين حناياها ، بل بدت عينيها الى هناك .. الى الافق البعيد ، فما واتتها السعادة !!

.. وأوقدوا حول مرقده الشموع، تتراقص من حولها الحور ، ويتغنى على ضوئها الولدان ، ويتهافت على لهبها الفراش العاشق !!

.. وأولموا حوله لليتامى ، فقد كان قرباناً للانسانية المعذبة باشواكها .. وورودها !!

واناجيكم باسم الوفاء .. يا احبتي !!

اناجيكم باسم الوفاء ان تعيّدوا باسمه عيداً ، تفرحون بذكراه ، وتصلون من اجله، وتسلمون عليه، وتحيون في ذكره ساعة من نهار ، علّه يسعد بوفائكم ، وينبض لتحيتكم، ويهنأ في مثواه بصلواتكم.

اذكروه من اجل الوفاء .. بل اذكروه لأنه قلب بريء قضي شهيداً .. بل اذكروه لأنه وديعة الشباب اليكم .. لأنه قلبي ؟

القاهرة — رضوان ابراهيم

دارة العرب

•

تهدى الى الشاعر الكبير الاستاذ جورج صيدح ذكرى
زيارته دمشق وتحية لديوانه « النوافل » الذي نذره لفلسطين

✡

القيت في الحفلة الكبرى التي اقامها « النادي العربي » بدمشق
تكريما للاستاذ جورج صيدح

●

فلسطين ! يا دنيا المجادة والحب ويا مهبط الالهام والحلم العذب
عليك سلام العرب يندى مواجعا ويشرب دمع العين غربا الى غرب
تطوف بك الذكرى ويهفو لك الهوى كأني منك الجسم خلو من القلب
بنفسي واهلي ارضها وسماءها ويا لهفي للسهل منها وللهضب
حننا اليها وهي ملء ضلوعنا كأن رؤاها حائمات على قرب
فديتك، لم امعنت في الهجر والقلى وعشت على صد واسرفت في العتب
ولم رحت لا تلوين الا على النوى أمن امل رحب الى امل نهب ؟
ديار الهوى لا زلت مخضرة المنى ترف على مغناك فينانة العشب
اراك بعين الحب طيفاً مجسداً يقاسمني كربي ويغفر لي ذنبي
فهل لفنا الماضي خيالا على المدى والفنا كالهدب يعلق بالهدب
ايا روضة الاحباب لولاك ما ارتوت جفوني، ولا روتك بالهاطل الصب
ولا طاف بي التذكار حلواً كأنما اعيش به في عالم مونق رحب
خيالك في عيني وذكرك في فمي وبي منك ما يغري المحب وما يصبي
لأنت هوى قلبي الذي مضه الهوى وعلله بالشهد كالعاشق الصب
وما غبت عن طرفي وإن بعد المدى ولكننا في الحب جنبا الى جنب
وما ذكرتك النفس الا تولهت وهيمها برح فباتت بلا لب
وان بتذكار الديار علالة تروح عنها ما تعاني من اللهب
يهيج جواها الشوق والشوق عاصف كأن على انفاسه زفرة النحب
فيا لك ذكرى ملؤها الوجد والاسى مضرجة الاعطاف بالنوح والندب
دهتك من الدنيا كوارث جمة والقت بك الويلات في مزلق صعب
وما غير الايام مهما تفاقمت باعظم مما ذقت من فادح الخطب
ايغدو مطاف المجد نهبا مقسما ولا تغضب العرباء للنهب والسلب
وكانت اذا نابت الديار اذية تفجرت الارواح بالسمر والقضب
حنانيك ربي ما ليعرب لم تفق وما خلقت الا من الشب والهب
فما بالها ان هاجها البغي لم تهج وان قرعت بالسب نامت على السب
احقاً توانت عن منازلة العدا اصدقاً، وليت الصدق ضرب من الكذب
وهل غصب العادي ديار احبتي وقرت نفوس العرب طوعا على الغصب
فصبراً على البلوى وان جل امرها وصبرا على الآلام والنوب الغلب
فقد ينجلي الليل الطويل عن السنا وتزدهر الاعواد في المهمه الجدب
ويمرع قفر عمه المحل والبلى كانك منه في نماء وفي خصب
ويرجع وجه السلم جذلان ناضراً بحرب تلف الارض بالطعن والضرب
اذا لم يكن في السلم خير ونعمة فما الخير الا في ممارسة الحرب
فبعداً لمن قد عاش في الضعف والونى وتباً لعان لا يفيق من الرعب
اذا دهمته الداهمات تلجلجت به النفس وانهارت تقول له حسبي
ويا فوز من اسقى العدا اكؤس الردى ولم يعي بالايام نكباً على نكب
يظل شديد الباس بالحق جاهراً ويختال في وشي المخيلة والعجب

***

فيا حاديا إما تيممت ارضها فعرج عليها وانثر الغار في الدرب
لعل اصحابي اذا امر ركبهم يرون بنثر الغار ما يزدهي صحبي
وطوف رباع الخلد تطواف عاشق حسير الاماني وابك بالمدمع السكب
وغن الحمى حتى يرق لك الحمى وينصت مشتاقا الى نغم الركب
اطل وقفة في الدار والثم ترابها فمن حقها ان تلصق الخد بالترب
وناج دماء اهرقت في رحابها وسلسل لها وجدي وصور لها حبي
وقل يا دياراً مضها لاعج الاسى واسلمها الباغي الى الهم والكرب
ايا طول شجوي ان خلصت الى العدا ولم ترجعي يادارة العرب للعرب

***

ويا « صيدحاً » اهدى فلسطين قلبه ورد الاذى عنها بمقوله العضب
وقدم اغلى الشعر مهراً لنصرها وما شعره الا من اللؤلؤ الرطب
اليك أؤدي بعض ما تستحقه رفيفاً من التحنان والنغم العذب
وانت جدير بالدراري فليتني اصوغ بياني من سنا الانجم الشهب
الست الذي ناجى الخلود بشعره ورفرف صداحاً على الشرق والغرب
وعيتك في اذني نشيداً محبباً تغلغل حلواً في السويداء من قلبي

دمشق — انور العطار





هانذا اعود بعد ان نفضت يدي من تراب امي . كنت اسير وئيداً واتلفت حوالي بحذر ، ثم رفعت طرف سروالي لامسح حذائي بجواربي ، واخذت انظر الى بريقه بارتياح ، وتذكرت انه يجب ان اضع له ميالتين من الحديد حتى لا يبلى سريعا بينما اخذت احاول ان اشعل سيجارة من « التاطلي سرت غليظه » من الولاعة التي كان ينقصها الحجر ، ولما ذهبت محاولاتي ادراج الرياح ، اشعلتها من احد المارة ونسيت ان اشكره ثم بصقت بشدة .

لا ادري اي الاحاسيس هي التي تكتنفني في هذه اللحظة وحاولت جاهداً بحكم طبعي كطبيب ان انفذ الى شعوري فاحلله . كل ما شعرت به كان احساسات متناقضة . شعرت انني خفيف الحركة تملأ نفسي كآبة غامضة فيها ارتياح لا ادري سببه ، ولكن الشيء الوحيد الذي تأكدت منه هو انني لا احس بشيء من الحزن

« ماتت امك » هذه هي الجملة التي طالعتني بها الخادمة وهي تنظر الي بامعان مساء امس من خلال اهدابها ودموعها واعترف انني لم افكر في معنى قولها تفكيري في منظر عينيها المحتقنتين تملأهما الدموع .

والآن مات الشخص الوحيد الذي يضم ذكرياتي وحياتي الماضية ، ذكرى تلك الايام التاعسة ، البطيئة ، القاتلة ، ايام كنت صغيراً ذليلا اقف امام البيوت اطرقها بيد شققها البرد لاسال عن امي .

ووجدتني اردد من اطراف اسناني « الى الجحيم تلك الايام » لقد كانت امي غسالة . . غسالة حقيرة في بؤرة من بؤر « الميدان » .

ولقد كنت اتمثلها وهي عائدة من عملها منفوشة الشعر ، لاهثة الانفاس تبدو يداها بيضاوين بشعتين من تاثير الماء والصابون فتضع في يدي القرش الذي اتلقفه في لهفة مقرونة بالاشمئزاز .. وحينما احس بيديها تحتضنانني وتضماني الى صدرها واوى في عينيها دموعا لم استطع في يوم ما ان اجد لها تفسيراً ، كان اشمئزازي يتلاشى وكنت اتمنى ان ابقى في حضنها الى الابد

ونشأت بين رائحة الصابون ودخان المطابخ وقذر الثياب ارى كل يوم بخار الماء الغالي والثياب المكدسة الوسخة ، وارى والدتي منحنية انحناءتها الخالدة فوق الطبق ، وقد لمثت كالقطة ونبطت عروق جبينها وقد تندى بالعرق بينما اخذت يداها تعملان جاهدتين في فرك الثياب .. ولقد كنت احس بالهوان عندما كنت ارى نظرات اصحاب المنزل الي بعد عودتي من المدرسة ، نظرات كانت تقع علي كالسياط ، وكنت حينما احمل فضلات الطعام التي يعطونها لامي احس على كتفي اثقالا من القاذورات .. واسمع دائماً النداء اللعين : يا ابن الغسالة ان امك عندنا .

ومهما يكن من امر فقد كانت امي توفر من عملها اجرة المدرسة وهي اجرة محترمة على كل حال ، وكثيراً ما كنت افكر في مستقبلي وانبي الخطط وانا ارى نفسي وحيداً معزولا عن العالم . سالتها مرة عن والدي فاتسعت حدقتاها بذعر واطرقت واجمة وقالت انه مات منذ ولادتي

فدفنت راسي بحضنها ولا زلت اذكر نبضات قلبها السريعة ونشيجها الواهن وشعرت بدفء حنانها الملتهب وهي تضمني ضمة كادت تحطم اضلاعي الطرية .

لا شك ان الظروف البشعة التي رافقتني كان لها اثر كبير في تكويني وكانت معاملتي لامي شاذة فلقد كنت قاسيا عليها انتظر اقل حافز لانفجر ولا اعلم بعد ذلك سبب ثورتي واذكر ذلك اليوم الذي انفجرت في وجهها ونعتها بالغسالة ثم ضربتها بحذائي . وكانت تقابل ثوراتي المتكررة بصمت ثقيل كنت احس به حجابا صفيقا يقوم بين قلبينا الى الابد .

لقد كنت غريبا بين العمالقة من ابناء الاسر الاخرى وكان قصر قامتي يولد في نفسي احتقاراً هائلا لنفسي فكنت اطاطىء راسي امام كل مناقشة اعرف تماما انني بها مصيب .. الست سخيفا ؟ الست قصيراً ؟ الست ابن غسالة ففيم التبجح بالمنطق والمرافعة والسفسطة ؟ يكفي ان يقف محدثي امامي قليلا فاقيس قامتي بطوله حتى اشعر ان قنفذا قد اخذ بخناقي ، انني حقير ، حقير .. ولكنني لم اشك يوما في ذكائي مما ساعدني على شق

طريقي في الحياة.

لقد كان قصري يولد في نفسي غضبا على امي، اليست هي اصل البلاء ؟ اليست سبب حياتي الذليلة ؟ ماذا لو ولدتني غنيا احمل تلك المحفظة التي يحملها عصام مثلا واركب مثل عربته ؟ الست اذكى منه ؟ ولكنه .. آه انه اطول مني ، دائما الطول .. الطول اللعين لقد كنت اذا ما مررت بجدار احاول ان اقيس طولي على تموجات الدهان فيه، وكنت انظر الى ظلي في الشمس وتنطلق مني تنهدة ، ما اشد لهفتي الى ان يصير طولي كظلي .. وكنت اسمع عن ليلة القدر واسهر ليلتها وانا اهيء الدعاء ليس ثمة شيء سوى جبل من ذهب وفتر من طول .

شيء واحد كنت ارتاح له واشعر فيه ببسيطرتي وهو انني كنت اشعر بالزهو والعظمة حينما اقف امام امي لسبب بسيط ، هو ان قامتي كانت اطول من قامتها قليلا .

هل كنت ابغض امي ؟ لا اعلم . لا شك انها تعبدني وكنت مستعداً ان اغفر لها كل شيء الا انها ولدتني .

اخذت اشعر بعمق الهوة التي تفصل بيني وبينها حينما اخذت اخيراً وبعد كد سنوات اجازة الطب اني اذكر تماماً نظراتها الفرحة اذ ذاك وبكاءها الغريب وصياحها اللاهث .. مبروك يا ابني ورأيتها تتنهد كانها ادت مهمتها وازيح عن ظهرها الثقل الذي كانت ترزح تحته .

لم اكن افهم انها هي التي خلقتني بل كنت لا اريد ان افهم ان عرقها ودموعها واعصابها كانت وقوداً لنضجي ، وكانت دماؤها المداد الذي كتبت به شهادتي ونظرت الى نفسي بزهو لا يوصف لقد كنت عصامياً ذكياً بل كنت اظن نفسي من العباقرة ومن ثم كنت احتقر اكثر من اعرفهم .

قد انسى اشياء استطيع ان اتناساها على التكرار ، يكفي ان افكر بشيء آخر ، عندما تقفز الى ذهني ذكرى التمة . افكر بسهرة هانئة مثلا او بواجب ملقى علي ، او اتذكر عياداتي ومرضاي ، او احاول ان احصي عدد الوان السقف المدهون، او ابادر الى اصطناع مشاجرة دمة مع الخادمة ، كل هذا جربته في تلك الذكرى التي تحز في رأسي كمقراض ضخم ولكن بدون جدوى . يذكرني بها الجو ... والصياح ... والشارع ... ليست هي ذكرى غريبة ولكن بعض الذكريات البسيطة او التي تبدو بسيطة تبقى دائماً احدى خلايا ذاكرتك فلا تفكر الا وتتحرك الخلية لتندمج مع الخلايا ...

عندما جئت اعلمها بخطوبتي كان الحر خانقاً ، والنوافذ المطلة على الشارع مفتحة ، وبدأت كلامي وانا اسمع جلبة العربات وصوت الحوذي وهو ينهر جواده وصوت الترام الذي يدق رنينه الواهن بينما ملات الجو اصوات باعة الصحف ، وهم ينادون عن جريدة مشهورة . ودق ناقوس الكنيسة يعلن الثانية عشرة وكانت تنبعث الى انفي رائحة المازوت من شركة الكهرباء ، وبدا امام عيني في الرصيف المقابل عنوان ضخم عن مطربة سخيفة الصوت ... وشكلت هذه الاشياء جميعها جواً زاد في حدة اعصابي وبدأت اقول بغير اكتراث انه قد آن لي ان اتزوج واخذت اعد الحوائج التي ساشتريها فقاطعتني بهدوء تسالني عن زوجتي المستقبلة ... يا الله ، كيف سهوت عنها يا امي ؟ انها رمزية ، ورأيت وجهها الهرم يتجعد ويمتقع ولا ادري لماذا تذكرت دهان مطعم سقراط في ذلك الوقت .

كان وجهها مسرحا لاحساسات متناقضة ولكنها مدت يدها المرتجفة وهي تقول مبروك يا ابني مبروك ، فوجهت الى قلبها الطعنة الاخيرة . امي اني ارى صحتك لا تساعدك على الجلبة واني قد استاجرت لك مسكناً في سوق ساروجة وبذلك تتخلصين من عناء البيت والاولاد وخيل الي ان وجهها قد ابيض ادمه ، وانها بذلت جهوداً جبارة كي تبتسم من خلال دموعها التي حبستها وكان منظرها مضحكا وهي تغالب عينيها الباكيتين ثم تجيب بصوتها الهادىء كما تشاء يا ابني..وفي اللحظة الثانية هوت على الكرسي وهي تسعل سعالا متصلا هز جسدها الشيخ هزاً عنيفاً . ولعنت رمزية التي اقترحت علي ابعادها عني ولكني مع ذلك لم اتراجع فانفصلت عنها حتى جاءها السل فاتيت بها امرضها في بيتي ..

اني احس الآن بالدوار مالي ولهذه الذكريات العجيبة ؟.. ولماذا احس بها الان فقط ، هل لاني وصلت الآن الى تلك

المرحلة الرهيبة التي ماتت فيها امي ؟..

وقفز الى ذهني خاطر رهيب الست انا القاتل ؟نعم انا الذي قتلتها لقد اصابها الاجهاد بالسل في بيتها العفن وهي صابرة لا تتكلم. كانت تموت في اليوم مرات وكنت حينا ازورها تجاهد نفسها كي لا تشعرني بمرضها وكنت لا اطيل زيارتي لها، مرة كل شهر ... والزيارة خمس دقائق .. ولكنني كنت الاحظ امتقاعها والبقعتين الحمراوين على وجهها من اعراض السل الرئوي ، هل كنت اتعامى عن ذلك لاتخلص منها ؟ اخيراً نقلتها الى بيتي واخذت امرضها بفتور وكانت تلح علي ان لا اتفرغ لها وان اترك اوقاتي للعيادة وكنت اطيعها واحس بشيء من الارتياح الخبيث حينما اذهب الى العيادة .. حتى كان مساء البارحة ... اتصلت بي الخادمة تقول ان نوبة حادة اصابت امي وكنت اعالج رجلا ذا مكانة فعز علي تركه ولكنه عندما علم الحف علي بالذهاب فغادرت عيادتي وانا غاضب .

لست انسى النظرة الوجلة المستكينة التي قابلتني بها امي ، لقد كانت تخافني واحسست بنظراتها تهينني وتجردني من ثيابي فادرت وجهها بعنف فتاوهت وصبرت على قسوتي وانا اضعها في الفراش دونما رفق واكرهها على شرب المسكن اكراها ثم اضرب الباب خلفي بعنف وقوة ...

وحينما عدت في المساء كانت امي قد ماتت ودفنت كأنها متشردة لم يسمع بها احد .. ذلك لانني لم اقل لاحد عن موتها ...

واخيراً ... ها هو البيت ، الباب في مكانه والالوان نفسها والكتابة التي خربشها الاطفال فوق الدهان تبدو كالنقش القديم ... واشتريت علبة كبريت وعدت الى البيت .

واتتني الخادمة بورقة قالت ان امي اعطتها اياها قبل ان تموت ..

وكان فضولي عظيما وانا افضها وتخيلت انها ستعهد الي بمال كانت قد خبأته او بمتاع او بغير ذلك ورحت اقرأ خطها الرديء اذ كنت قد علمتها بعض الكتابة .

حبيبي سامي .

ساموت يا ابني فرحة وانا اراك كما كنت اتصورك وانت صغير غنيا ، قويا ، سعيداً ..

اكثر ما يخجلني انني اتعبتك كثيراً قبل ان اموت واتمنى ان تغفر لي يا ولدي الحبيب .

ليت كل الامهات يا سامي سعداء بابنائهن كسعادتي بك لقد كنت شفوقا بي رحيما بضعفي .

واني افرح لأن مرضي كان سريعا فلم يتعبك اكثر من شهرين .

بع يا سامي كل ما يتعلق بي عسى ان تجد في هذا القليل التافه مالا تعطيه لبعض الفقيرات وخاصة الغسالات .

في صندوق صغير تحت المقعد الكبير في الصالون اشياء عزيزة علي وارجو ان تحفظها او على الاقل ان لا تتلفها .

اعتن بنفسك يا ابني ، اموت وبي اسف لانني لم اقدم لك كل ما اشتهي ولانني لم ار ابنك الاول هل تعدني بان تسميه باسمي اذا كان بنتاً ؟ ..

والان الوداع يا سامي يا ولدي الحبيب .

طويت الورقة ببطء قاتل واحسست بثقل يبهظني كانني البس رداء من الرصاص وحاولت ان افعل اي شيء ، ان ابكي ، ان اضحك ، فلم استطع وحدقت في الضوء طويلا دون ان اشعر باي الم. يا لها من حياة عاشتها امي في سبيلي وشعرت بخدر كالشلل يتسرب الى اعصابي واخذت اقضم اظفاري وكانت يدي ترتجف اذ لم استطع ان اكبت شعوري كعادتي دائما .. فاسرعت فجاة ودسست رأسي في الماء ..

وتساءلت هل عاشت سعيدة يا ترى ؟ اليس من السخافة ان اطرح على نفسي سؤالا كهذا ومهما يكن من امر ، فقد خيل الي انها تتمنى ان يكون ابنها اقل شبابا واقل مالا واقل ثقافة منه الان حتى يكون بالتالي اكثر حنانا .

واحسست ان دموعي التي اذرفها بهدوء كانت طاهرة وامسكت بالكتاب المقدس لاول مرة منذ سنوات وقبلته بخشوع واستيقظت حواسي عندما تذكرت الصندوق .. الصندوق واسرعت الى غرفة الاستقبال ووجدت صندوقا قد وضع حديثاً وكان ضوء الغرفة يقع على معدنه الرخيص الصدىء فيبدو كامدا عتيقا كانه قبر نحاسي واعتراني شيء من الوجل وانا افتحه .

ووقفت احدق في دهشة وذهول في محتويات الصندوق بينما حاولت الابتسام من خلال دموعي ووجدتني اشهق من اعماقي. لم يكن في الصندوق سوى صورة لشاب جميل يشبهني واظن انه ابي وشيء اخر .. ووجدتني اغص بريقي حذاء صغير وسخ هو نفس الحذاء القديم الذي ضربتها به يوما في احدى ثورات غضبي .

دمشق — سعيد حورانية



حلم

الى شاكر

•

انت يا من تحلمين الان ماذا تحلمين

*

بالدروب الزرق ،
بالغابة ،
بالموت مع السكون الذي لا تفهمين
ولعلي الآن شيء
غابة
او ذلك الدرب
او الموت الذي لا تفهمين
ولعلي قبضة تخنقك الان وعين لا تلين
او شتاء قارس يندس في قلبك من حين لحين
ثم ماذا ...؟
انت يا من تحلمين الآن ماذا تحلمين

*

وغداً اذ تدركين الفجر ماذا تدركين

*

كنت حلماً ،
مر والليل بلا معنى كايام سجين
وتلاشيت مع الدرب ،
مع الغابة ،
والموت الذي لا تفهمين

بغداد — بلند الحيدرى

عبد الحميد الكاتب

الى طلاب البكالوريا

بقلم فيصل الشطي

اصله وخلقه

يقول ابن خلكان في وفياته عن عبد الحميد انه هو ابو غالب يحيى بن سعد مولى بني عامر ابن لؤى بن غالب الكاتب البليغ المشهور وبه يضرب المثل في البلاغة . وكان في الكتابة وفي كل فن من العلم اماما . وكان اولا معلم صبية يتنقل في البلدان وعنه اخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتدوا . وهو الذي سهل سبيل البلاغة في الترسل ومجموع رسائله مقدار الف ورقة وهو اول من اطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده . وكان كاتب مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الاموي آخر ملوك بني امية المعروف بالجعدي وقال له يوماً وقد اهدى له بعض العمال عبداً اسود فاستقله ـ اي رآه قليلا ـ اكتب الى هذا العامل كتابا مختصراً وذمه على ما فعل.

فكتب اليه .« لو وجدت لونا شراً من السواد وعدداً اقل من الواحد لاهديته والسلام » . وكان من اهل الانبار (١) وسكن الرقه والانبار كما يقول صاحب معجم البلدان مدينة قرب بلخ وهي قصبة ناحية جورجان وبها كان مقام السلطان وهي على الجبل وينسب اليها خلق كثير تبعد عن بغداد عشرة فراسخ.

يقول الاستاذ كرد علي بعد نقل رواية ابن خلكان: ان صحت هذه الرواية، كان عراقياً غير شامي . والظاهر ان الذي اغرى الاستاذ الى اعتباره عراقياً قولهم وسكن الرقة . وهذا لا يكون حجة وذلك ان عادة معلم الصبيان يتنقل للكسب فربما سكن الرقة اثناء تنقله .

اعتماد بني أمية على الموالي

كان بنو امية كثيراً ما يعتمدون على الموالي في كتاباتهم ودواوينهم فلم تمنعهم اصولهم من تولي اهم مناصب الدولة . فقد كان من كتاب معاوية مولاه عبد الرحمن بن دراج وكان على ديوان الرسائل لعبد الملك بن مروان ابو الزعيزعة مولاة .

عدم سرد الأخبار لمولده ولا البلد الذي ولد فيه

ان ما اتصل بنا من اخبار عبد الحميد لم يصور لنا منه صورة تامة فما عرفنا مولده ولا البلد الذي ولد فيه من بلاد الشام ولا نوع دراسته واساتذته ولكننا عرفنا انه شامي عاصر بعض الخلفاء من الامويين واطلق عليه ابن عبد ربه الاندلسي عبد الحميد الاكبر ، وعده من نبل في الكتابة وكان قبله خاملا وقال انه كتب لعبد الملك بن مروان وليزيد ثم لم يزل كاتباً لخلفاء بني امية حتى انقضت دولتهم . والارجح ان عبد الحميد تخرج في الكتابة على سالم بن عبد الله مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه وكان سالم ختن عبد الحميد ـ اي صهره زوج اخته ـ وكان احد الفصحاء والبلغاء وقد نقل رسائل ارسطاليس الى الاسكندر . ولسالم رسائل مجموعة في نحو مئة ورقة وبهذا يقال ان عبد الحميد اخذ عن رجل بليغ يعرف الاستخراج من ادب اليونان وسياستهم ولم يثبت انه كان يعرف اليونانية كما وهم بعض اساتذة العصر (٢) ويكفي ان نقرأ كاتباً افرنسياً متأثراً باليونانية وهو اناتول فرانس يستعمل الحال استعمالا كثيراً جداً كما كان يستعملها عبد الحميد واناتول يقدمها احيانا ويؤخرها احيانا . ذلك لان مدارس الادب اليوناني كانت منبثة في الشرق كله في الاسكندرية وغزة وانطاكية والشام والجزيرة وظلت كذلك حتى العصر العباسي فليس غريباً ان يكون عبد الحميد قد اتصل باليونان في مدارسهم في الجزيرة اذا صحت رواية من يقول ان مولده في الجزيرة من اعمال الشام .

ثم يتابع الاستاذ كرد علي كلامه فيقول وربما نهل من الارمنية مدة مقامه في ارمينية كاتبا لمروان .

يقول ابو هلال العسكري ان عبد الحميد كان يحسن الفارسية وبادب هذه اللغة تأدب وعلى نسج حكمائها نسج والف تطويل الرسائل واختصارها بحسب الحال فمن الرومية اخذ بالواسطة ومن الفارسية اخذ مباشرة والفارسية ما كانت تقل حكمة اهلها عن حكمة اليونان . ساعد عبد الحميد ادبه الفارسي على نبوغه في البلاغة العربية . ويقول عبد القاهر الجرجاني ان من عرف اوضاع لغة من اللغات عربية كانت او فارسية وعرف المغزى من كل لفظة ثم ساعده اللسان على النطق بها وعلى تأدية اجراسها وحروفها فهو بين في تلك اللغة كامل الاداء بالغ من البيان

---

(١) الانبار تقع بين الفرات والدجلة في الجزيرة السفلى

(٢) يشير الاستاذ كرد علي الى الدكتور طه حسين .

المبلغ الذي لا مزيد عليه منتهي الى الغاية التي لا مذهب بعدها. كتب عبد الحميد قليلا عن هشام بن عبد الملك كما عرف من رسالة كتبها عن هشام الى يوسف بن عمر الثقفي وهو باليمن وقد كان على اليمن سنة ١٠٧ اي ان ديوان هشام كان المدرسة الاولى التي تخرج باساتذتها عبد الحميد في علوم الانشاء. ويمكن ان يقال إنه كان من اول نشأته على اتصال على من يعرف الخلفاء وما يقتضي لحكمة الخلفاء من الادوات وذكروا انه حدث عن سالم بن هشام ولعله سالم مولى هشام وحدث عنه خالد بن برمك ويقول اصحاب المفصل بان سالما كان يجيد العربية والرومية.

صنعته في الحداثة

قالوا ان عبد الحميد كان في حداثته معلما في الكوفة ولعله مرن على حفظ مسائل كثيرة من تأديبه الاطفال زمنا. والمأدبون كانوا طبقة راقية في القرون الاولى للاسلام وكانت الكوفة لما القى بها عصا الترحال لاول امره محط رجال العلم في الدين واللغة والنحو والتصريف ولا شك انه ثافن(١) اهل اللغة واخذ عنهم وهناك حدث له غرام بتمثل كلام علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فقد سئل يوما ما الذي خرجك في البلاغة فقال حفظ كلام الاصلع يعني عليا وكانت الكوفة من البلدان التي احبها امير المؤمنين واحب اهلها واحبوه.

وفاؤه لمروان بن محمد آخر ملوك بني امية

في زمن لم نتثبته جيداً اتصل بمروان بن محمد وهو والي على ارمينية يحارب الخوارج فيها على الخلافة فكتب عنه وحظي عنده وانقطع اليه ولما عقدت البيعة في الشام لمروان سجد مروان واصحابه شكراً لله الا عبد الحميد فقال له مروان لم لا تسجد فقال او لم اسجد على ان كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة فقال اذا تطير معي فقال الآن طاب السجود فسجد وكتب لمروان طيلة خلافته اي ثمانية عشر عاما وكان يحبه حبا جما ويرفع منزلته بين الكتاب والعمال « ولا يرى الدنيا الا به » لعلمه بنبوغه وتفرده بصناعته وذهابه بفضل البلاغة وما ينبغي لها حتى عرض عليه لما ايقن ان امره ادبر وهزائمه توارت وسلطانه صائر الى الزوال ان يكون مع اعدائه لتسلم حياته قائلا انا نجد في الكتب ان هذا الامر زائل عنا لا محالة فسيضطر اليك هؤلاء القوم – يعني ولد العباس – لادبك وان اعجابهم بك

(١) اي عاصر.

يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم واظهر الغدر بي فلعلك تنفعني في حياتي او بعد مماتي فقال له وكيف لي بان يعلم الناس جميعا ان هذا عن رأيك وكلهم يقولون اني غدرت بك وصرت الى عدوك وانشد .

وذنبي ظاهر لا شك فيه ۔ لمبصره وعذري بالمغيب

وانشد ايضا :

اسر وفاء ثم اظهر غدرة ۔ فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال لا يا امير المؤمنين ان الذي امرتني به انفع الامرين اليك واقبحها بي ولكني اصبر حتى يفتح الله عليك او اقتل معك وهكذا تجلت بمحمد الحميد فضيلة الوفاء فآثر ان يقتل مع صاحبه على ان يتخلى عنه يوم الكريهة والشدة وتجلت فيه خلة الشجاعة والاعتقاد بالاقدار فهو الرجل الذي شارك سيده في سعادته وبلائه(٢) قيل لما زال امر مروان اتى المنصور بخواص مروان وفيهم عبد الحميد والبعلبكي والمؤذن وسلام الحادي فهم بقتلهم فقال سلام استبقني يا امير المؤمنين فانني احسن الحداء قال وما بلغ من حدائك قال تعمد الى ابل فتظمئها ثلاثة ايام ثم توردها الماء فاذا بدأت تشرب رفعت صوتي بالحداء فترفع رؤسها وتدع الشرب ثم لا تشرب حتى اسكت فامر المنصور بابل ففعل بها ذلك فكان الامر كما قال فاستبقاه واجازه واجرى عليه وقال له البعلبكي استبقني يا امير المؤمنين فاني مؤذن منقطع النظير بل القرين قال وما بلغ من اذانك قال تامر جارية فتقدم اليك طستاً وتاخذ بيدها ابريقا وتصب الماء على يدك فابتدىء بالاذان فتدهش فيذهب عقلها اذا سمعت اذاني حتى تلقي الابريق من يدها وهي لا تعلم فامر المنصور جارية ففعلت ذلك واخذ البعلبكي في الاذان فكانت حالها كما وصف وقال عبد الحميد يا امير المؤمنين اني فرد الزمان في الكتابة والبلاغة فقال ما عرفني بك انت الذي فعلت بنا الافاعيل وعملت لنا الدواهي فامر به فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه. ويروي انه سلمه الى عبد الجبار فكان يحمي له طستاً ويضعه على بطنه حتى قتله ويقول اليعقوبي ان عبد الحميد تخلف بمصر واستتر حتى دل عليه صالح بن علي وزاد غيره انه لما انهزم اختبأ في كنيسة بوصير*

(٢) يشير الى تنكيل المنصور له ورجحان رواية المسعودي انه قتل بمصر.

* يقول المؤرخ الاستاذ صادق النقشبندي عن بوصير ان في مصر اربعة ارياف تدعى بهذا الاسم الاولى واقعة قرب الاسكندرية على

من ارض مصر وقال آخرون انه استخفى في الجزيرة عند عبدالله بن المقفع فغمز عليه ـ وكان صديقه ـ وفاجأه الطلب وهما في بيت فقال الذين دخلوا ايكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما انا خوفا على صاحبه واوشك الجند ان يقتلوا ابن المقفع لولا ان صاح بهم عبد الحميد ترفقوا بنا فان لكل منا علامات فوكلوا بنا بعضكم وليمضِ البعض الآخر الى من وجهكم ويذكر له تلك العلامات ففعلوا واخذوا عبد الحميد ، وفي رواية ان عبد الحميد لم يختبىء عند ابن المقفع بل قبض ساعة قتل مولاه مروان وان عامل بن اسماعيل لما قتل مروان ظفر بعبد الحميد كاتبه فعرض عليه رؤوس القتلى لانه قتل في ستة او سبعة من خواصه وكانوا معه فعرفه من رأسه .

بلاغته واستشهاد الشعراء بها

كان عبد الحميد على ما قال صاحب العقد اول من فتق اكمام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر وضربت الامثال ببلاغته وقد قيل افتتحت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد وقد اشار البحتري الى ذلك في قصيدته الى محمد بن عبد الملك قال :

وتفننت في البلاغة حتى ... عطل الناس فن عبد الحميد
لو ان عبد الحميد اليوم شاهده ... لكان بين يديه مذعنا وسنا

وقال ابو اسحاق الصابي

انسيتم كتبا شحنت فصولها ... بفصول در عندكم منضود
ورسائلا نفذت الا اطرافها ... عبد الحميد بهن غير حميد

وقال ابراهيم بن عباس الصولي وقد ذكر عبد الحميد عنده كان والله الكلام معانا له ما تمنيت كلام احد من الكتاب قط ان يكون لي الا كلامه .

طريقته في الكتابة واطالته في الرسائل

جاء عبد الحميد بطريقة في الكتابة العربية شرعها لكل من يحمل القلم بعده فنقل الانشاء من طور الى طور ولم تكد تتغير حتي عهد ابن العميد. وبلاغة عبد الحميد لا تجنيس فيها شأن من كانوا من فصحاء العرب قبله ممن كان كلامهم محض البلاغة اللهم الا ان يقع ذلك اتفاقاً غير مقصود قصده.وهو اول من فك رقاب الشعر وسرح مقيده الى النثر ومعلوم انه قل ما عهد التطويل على عهد الراشدين والامويين فابتدع عبد الحميد اسلوبه الجديد الخاص به وكان ذلك عقب تشعب اغراض الخلافة وامتداد عمرانها وانبساط ظل سلطانها فنهج للكتاب سبل الانشاء واعلى في العالمين ذكره وشرف صناعتهم وكانت قبله في الغالب لا تعد عملا شريفاً من اعمال الدولة ويتولاها على الاغلب الموالي ومن اليهم فوفر هذا الفن الصعب في النفوس حتى كان الانشاء ينقل صاحبه من دواوينه الى ارقى دواوين الملك . كان عبد الحميد اول من اطال الرسائل ولا يبتدىء بلولا ولا وان ورأيت واستعمل التحميدات في فصول الكتب فتابعه الناس على طريقته والتحميد حمدك الله عز وجل مرة بعد مرة وكثرت حمد الله سبحانه بالمحامد الحسنة وهو ابلغ من الحمد وربما سبق عبدالله ابن المقفع الى التحميدات ولكنها لم تشتهر كما اشتهرت من ديوان عبد الحميد وهو ديوان الخلافة يتناقل الناس عنه اكثر مما يتناقلون عن غيره ولم يكن عبد الحميد يطيل كل مرة في رسائله بل يطيل مرة ويوجز اخرى ولكنه الى التطويل اميل فصاحب هذا الانتقال في الكتابة حافظ على ايجازها ما امكن لكن الزمان اقتضاه احيانا للاسهاب فاسهب واجاد في الطريقتين خصوصاً اذا اقتضت الحال ذلك مثل كتابه الى ابي مسلم الخراساني الذي كتبه عن لسان محمد بن مروان لما ظهر ابو مسلم بدعوة بني العباس كتب كتابا يستميله ويضمنه ما لو قرأ لاوقع الاختلاف بين اصحاب ابي مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان وقد كتبت كتابا متى قرأه بطل تدبيره فان يك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على ابي مسلم لم يقرأه وأمر بنار فاحرقه وكتب على جزازة منه الى مروان :

محى السيف اسطار البلاغة وانتحى ... عليك ليوث الغاب من كل جانب
فان يقدموا نعمل سيوفا شحيذة ... يهون عليها العتب من كل عاتب

وقالوا ان من جملة فقرات هذا الكتاب « اذا اراد الله اهلاك نملة انبت لها جناحين » ومعنى قول الراوين ان كتابه من كبر حجمه حمل على جمل انه كان مكتوب على رق وفي الرقوق تكتب الاسطر القليلة على الاغلب وقد دعت كثرة الرقوق التي تضمنت هذا الكتاب ان لا ينهض الرجل بحملها بل حملت لثقلها على جمل وليس في هذا التطويل المأثور عن عبد الحميد من عيب مع ما عرف في تفننه في بلاغته وهكذا جرى في رسالة ابي مسلم الخرساني فاطال وحمدت اطالته كما اطال في نصيحته لعبد الله ولي عهد مروان فقد كتب كتابه هذا في صفحات كثيرة فوضع ببيانه الرائع خططاً حربية وطرقاً جديدة في النظام والادارة والسياسة وقواعد مهمة في التربية ولا سيما في تربية

البحر والثانية ابوصير قرب الجزيرة بالجنوب الغربي من القاهرة والثالثة بوصير قوريبس بوسط الدلتا والرابعة بوصير الاشمونية بداخل الدلتا.

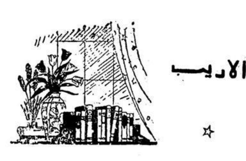
الملوك والعظماء، واصولا كلية في علم النفس والعادات المستحبة ومعاملة المرؤوسين وطلاب الحاجات وارباب السعايات واصحاب الاخبار بالايجاز لا يتأتى لاحد ان يفيض فيما افاض من الاغراض العظيمة. كان عبد الحميد يقول اكرموا الكتاب فان الله عز وجل اجرى ارزاق الخلق على ايديهم وقال ان كان الوحي ينزل على احد من الانبياء فعلى بلغاء الكتاب.

من رسائله

ومن رسائله المفردات ما كتب به الى بعض من خرج عن الطاعة ورسالته في الشطرنج والتنفير من اللعب به، ويعلق عليها الاستاذ كرد علي في امرائه بقوله: [وعبد الحميد في رسالته اشبه الوعاظة والفقهاء بلهجته، فقد رأيناه يكسو كلامه حلة من حلل الزهد ويدخل مدخلا دينياً يورد فيه البراهين على قضية لينزع من النفوس حب التلهي بلعب يقطع صاحبه عن العمل، وذكر لهم ان اللاعبين بالشطرنج يذكرون خلال لعبهم الفاظاً لا يليق بالالسن ترددها ولا بالاسماع ان تنصت اليها، وعرفنا من رسالته بعد هذا ان اناساً من المنظور اليهم من الفقهاء وغيرهم من الأئمة كانوا مولعين بهذا اللعب منذ اوائل القرن الثاني، ومن رسالة له في وصف الصيد كتب بها الى مروان في ما يظهر ويعلق عليها الاستاذ كرد علي بقوله:

وهذه رسالة وقفتنا على مبلغ عنايتهم بالصيد ووصفت لنا ما لاقاه الصائدون وصفاً رائعاً مستوفياً، كانا كنا معهم ووصف عدتهم التي اعدوها، والارض التي وطئوها والشدة التي لقوها من سماء امطرتهم وابلا ورذاذاً وكيف استخدموا الجوارح في صيودهم وما احتالوا من الحيل، وحصروا من الوكد حتى تمت لهم امنيتهم فصادوا ما شاء الله ان يصيدوا، وعادوا مملوءة عيابهم وجعابهم بانواع الصيد.

وعلق في نهاية رسالة الفتنة بقوله: واستفدنا ايضاً من هذه الرسالة، ان البلاد كانت تموج بالفتن اواخر عهد الخليفة مروان ابن محمد الاموي وان عبد الحميد يريد بتأثير قلمه ان ينزع اهل الاقطار عن التردي ـ السقوط في مهالكها ـ، وما نظن الا ان مجموعة رسائله تبلغ اكثر من الف ورقة. لعبد الحميد رسالتان كبيرتان الاولى رسالته في نصيحة ولي العهد، والثانية رسالته الى الكتاب، كتب الاولى على لسان مروان الى ابنه وولي عهده عبد الله لما وجهه الى قتال الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي، وكان هذا استولى على الموصل وكورها سنة ١٢٧ هـ، وقد



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي:

الاشتراك العادي:

في لبنان وسوريا: ١٢ ليرة
في الخارج: ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار:

في لبنان وسوريا: ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج: ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا
او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب: باب ادريس، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة: ٩٢ - ٤٧ / المنزل: ٤٨ - ٣٧ } Tél. { Direct.: 92 - 47 / Dele. : 48 - 37 }

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها: **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:
مجلة الأديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

المدينـة العظيمـة

في زيارة لروما

•

املي من القراء ان يجدوا بين عشبي
الخبيث ثمراً طيبا

•

في المدينة العظيمة قلوب جراء
احذروا ايها الناس الاشعة الحمراء
فانها ستحرقكم بغيظها وحقدها ..
على الدرب المؤدي الى ساحة المدينة
افعى سوداء تتمطى بتثاؤب
انظروا ايها الناس ملامحها
انها جائعة
تفتش عن طعامها .
وعلى شجرة الحب
راحت الافعى تتسلقها .
لا تقربوا منها ، فعندها مصيركم
ولعابها سم زعاف قتال .
لقد قطفتم كل ما اثمرته هذه الشجرة
وتذوقتم من قبل كل ما اعطته
ولكنكم الان لن تستطيعوا الجني
ولن تتمتعوا بحلاوة اثمارها
ما دامت الافعى تحرسها منكم
بعد ان اينعت واثمرت من جديد
وما دامت تتربص بكم الدوائر
متحدية شيطانكم الشره ..
في المدينة العظيمة انين متقطع
انصتوا جيداً ايها الناس
انه انين الراعي الحزين
الذي اضاع ابقاره وسط الغابة .
لقد اختفت هذه الابقار
والان لم يدر ان الذي سرقها هو انتم
وكذلك انتم لن تدروا كيف سرقت
ما دام شيطانكم يلعب ويهزأ .
ان في نفوسكم لشراً مستطيراً
اضحكوا وقهقهوا واطربوا
واملاوا الدنيا غناء وابتهاجا
لان شركم هو الخير عينه
نشأ عن الصراع المتفاعل بين فضائلكم
وبين نفوسكم العطشى الى الايمان !
انكم تريدون ان تعرفوا شركم
تريدون ان يكون مرئيا لاعينكم
لتمزقوه بايديكم القذرة
لانه فضيلة نشأت منكم
ولكنكم لن تقدروا عليه
لا لانه غير منظور
وانما لانكم تخافونه ..
في المدينة العظيمة نفوس هائمة
خائفة من العين الحمراء
دائما العين الحمراء
التي هي سر مستغلق في نفوسكم
احذروا منها ايها الناس
وابتعدوا عنها جهد المستطاع
لئلا تحطم آمالكم واحلامكم
وتذرو افراحكم كالهباء المنثور .
ابتعدوا عن المدينة العظيمة
ولا تدخلوها ابداً
ما دامت الافعى ناقة
تنتظر قدومكم بلهفة
لقد كانت في الزمن الماضي غائبة
وكانت في رحلة بعيدة
في جحيم الله السرمدي
حيث استطعتم الدخول افواجا
واستطعتم ان تتذوقوا ثمار شجرة الحب
اما الان وبعد عودتها
فانكم ستلاقون حتفكم اذا ما دنوتم .
ان هذه الافعى ليس لها طعام
لان طعامها صعب المنال
لذلك هي تنتظر
وستبقى منتظرة على شجرة الحب
ما دمتم تتجنبون ذهابها ،
ان طعامها هو قلوبكم الذهبية
وشرابها هو دماؤكم الزكية
فاحذروا ايها الناس فضائلكم
التي جنت على الراعي المسكين
اذ سرقت ابقاره من وسط الغابة .
ان في المدينة العظيمة عينا حمراء
ياكل الغيظ قلبها
فاتقوا شرها
لان شرها المتفاقم هو خيركم المجهول

باريس

يوسف محمد رضا

همس مبهم

بقلم فؤاد التكرلي





كنت في غرفتي جالساً قرب الشباك اتطلع الى الافق البعيد . في مثل هذا الوقت ، وفي تلك الحديقة الواسعة التي لا ترى اسوارها ، كان صديقي التلميذ المجهول يجلس الى كتابه كل ليلة من ليالي الصيف محاولا ان يفهم الكلمات التي تمر امام عينيه . تخيلته تحت ضوء المصباح الساطع مضطجعاً بسكون على كرسي طويل ، تلعب النسمات الباردة بشعره بين آن وآخر فيرفع بصره الى السماء شارداً ذاهلا عن نفسه ، تختلج في اعماقه مشاعر ملتهبة فيترك قراءته ويأخذ بالقلم ليسيطر على حواشي الكتاب الضيقة ما يعتمل في قلبه ويفيض منه . من يكن ؟ والى اين انتهى ؟

كنت اعرف عنه كل شيء الا هذين الامرين . عرفت عواطفه وافكاره وامانيه ، وعرفت الاناس الذين عاشوا معه وخالطوه وآذوه ؛ فصرت له صديقاً ودوداً محباً ، لكنه صديق لم ير وجهه ولم يحلم به يوماً من الايام .

تنهدت بحزن ونظرت الى الكتاب على ركبتي . ترى هل خطر له ان كتابه هذا سيصلني بمثل الطريقة الساذجة التي وصلني بها ؟ وهل تصور لحظة اليد القذرة التي سلمتنيه بكل قسوة واهمال ؟

كنت اسير يوماً في « سوق السراي » ابحث عن كتاب الفيزياء للصف الثالث المتوسط ؛ ولم اكن احمل الا القليل من النقود ، فتوجهت لذلك الى دكان لبيع الكتب القديمة وسألته عن بغيتي فاخرج لي هذا الكتاب . قال عنه ان فيه ملخصات تنفعني . ما اسخف قوله ايها الصديق المجهول ! كان يريد ان يرفع ثمن الكتاب لوجود تلك الملخصات الموهومة؛ولم يكن يعلم انه يبيعني حياة انسان ضائعة بين هذه الوريقات.واي حياة كانت!

ابتعت الكتاب وحينما رجعت الى البيت وقلبت صفحاته في ساعة من ساعات فراغي فقرأت ما كتبته ايها الصديق المجهول على الحواشي الممزقة ، تملكتني رجفة شديدة كانت هي المصافحة الاولى ليدك الرقيقة النحيلة .

شغلتني تلك السطور المضطربة المخطوطة على حواشي الكتاب وفي اسافل الصفحات الخالية ، اياماً عشرة طويلة . كنت شبه محموم وانا احاول انتزاع الكلمات والجمل من اماكنها . كانت مختلطة مع بعضها في اكثر الاماكن اختلاطاً غريباً ، مغطاة احياناً بسواد كثيف لا تنفذ العين الى ما تحته . وقد انتشيت مرات ، ولكنني رجعت اغلب الاوقات خائباً يائساً محزونا . كان يفتح قلبه لي في بعض ساعاته ببساطة الاطفال وطهرهم ، فتتتابع كلماته واضحة جلية تمس اوتاراً دفينة في نفسي فتكاد تبكيني ؛ وكان يختفي باصرار ساعات اخر وراء نقاب اسود بهيم ، فاعلم آنذاك انه لا يريد ان اقرأ حروفه التي يخط،وأن في فؤاده هلعا وخوفاً مما يكتب،فكنت افهم وأرثي له والبث ساكتاً.

حتى اذا انقضت الايام العشرة وجمعت في ورقة ما استطعت استخلاصه من الكتاب القديم ، تبينت انه لم يتجاوز التسع عشرة فقرة ، مبتورة تبلغ احيانا حد الرموز؛ ولكنها معذلك ترسم امام قارئها بعنف صورة حية ، دافقة الحيوية ، لنفس صديقي التلميذ المجهول الذي لا اخاله تعدى السادسة عشرة من عمره .

ولكم شغفت به بعد ذلك شغفاً صريحاً ليس له نهاية ، ولكم حاولت جهدي ان اتعرف على تلك الحدود التافهة التي تعينه من البشر ـ اسمه ومكانه وزمان مولده ؛ الا انني فشلت فشلا تاماً،بقيت جاهلا عنه كل شيء سوى انه كان انساناً عاش فتعذب وكتب عذابه سطوراً من نار ، هي هذه الفقرات التي تقرأها .

٤ نيسان : لماذا تبدو حياتي هكذا ، دروس .. دروس .. دروس ؟

متى سانتهي من هذه الاوراق المملوءة بكلمات خشنة ؟ ان في نفسي ضيقاً ، انني لم اذق الحياة حتى اليوم ، وليس هناك من يضمن لي العيش طويلا ، فهل انتهى امري !

٥ نيسان : ـ استستمر الحياة بي هكذا الى آخر العمر ؟ انقباض نفسي ، افعال مملة ، عدم انفساح الأمل ، خيبة في العلاقات النسوية واخيراً الدروس ؟

اني اعلم لا احد سيهتم بي حين اريد هذا الاهتمام ؛ حتى تلك الفتاة الصغيرة التي نادتني من النافذة فلم اجبها، لن تعاود الكرة فتناديني باسمي بصوتها الرقيق الحنون ، ومع ذلك أرى اشخاصاً لا يهتمون بان يحبهم الناس ، هذا أبي ابرز مثل لهم ،

اني لم اره يكلم امي كلاما ودياً ربع ساعة فقط . حياته كلها يقضيها خارج البيت ـ قمار ، سكر ، عربدة ، نساء حسان ، كل شيء الا ان يعود ليجلس في البيت .

١٢ نيسان : ـ عجيب والله ان اتذكر بعد اسبوع تلك الفتاة الصغيرة . فتاة النافذة ، و اظن السبب انها الوحيدة التي اهتمت بي !

١٤ نيسان : ـ هذه والدتي ؛ لقد مرت قبل دقائق امامي لتدخل الدار مع ان الساعة جاوزت الواحدة بعد منتصف الليل انها مثل ابي سهرات .. قمار .. وقد تسكر ! من يراقبها ؟

كل ذلك لانهم اغنياء ، لان الدنانير لا قيمة لها عندهم .

٢٠ نيسان : ـ رباه ، هل ساكون مثلهما انا ايضاً ؟

انهما يتشاجران الآن ، وهما الاثنان ثملان لا يشعران بما يتفوهان . الساعة تقارب منتصف الثانية صباحا . اني يأس احاول ان افهم الكلمات التي اقرأ .

٢١ نيسان : ـ تلك ليلة لم يمر مثلها علي ، اني اتخطرها هذه اللحظة .

كانا يتشاجران وكنت أسمع اصواتهما من مكاني في الحديقة وانا اقرأ ؛ ولم يكن يبدو انهما صاحيان على انفسهما لانهما قطعا الصراخ فجأة وسمعت صوت الباب الخارجي يفتح ثم يغلق بشدة . ومرقت سيارة ابي تحمله الى مكان مجهول ! مرت هنيهات ثم نزلت امي الي . كان شعرها الاسود المجعد مرتمياً على جبينها بغير نظام وكانت عيناها ساهمتين نصف مغلقتين وحركاتها بطيئة مستكينة . سألتني بصوت لين ـ « لا تزال مستيقظاً ؟ » ثم سارت نحوي بخطوات غير متوازنة وجلست على الكرسي الواسع . كانت تفوح منها رائحة نفاذة طيبة اختلطت برائحة الخمر فاحاطها مزيج رائع من عطر المدينة وفجورها . كانت امرأة جميلة مستهترة .

سألتها هل هي بخير ؟ فلم تجبني وارتمت برأسها على كتفي ، ثم لم تمض لحظات حتى سمعت نشيجها واحسست بالكرسي يهتز إثر حركات جسمها .

اضطربت وحرت في امري فرميت الكتاب جانباً والتفت اليها فاخذت اسكن من روعها قائلا بصوت تخنقه الدموع ـ « اماه لم البكاء ؟ ان الامر لا يستحق شيئاً لا تبكي يا اماه ، لم تؤذين نفسك هكذا ؟ » ثم بكيت معها .

٢٢ نيسان : ـ اني اريد الالم . احب ان يؤلمني أحد ، ان يمزق قلبي ، ان يحرقني . شخص احبه ، اهيم به ، لو آلمني ، لفرحت لالمي وعذابي !

اتذكر ليلة اذ كنا نلعب لعبة يتحكم فيها لاعب على الآخرين فيامر بضربهم او بالعفو عنهم ، وكيف كانت والدتي هي الآمرة فطلبت من احد اللاعبين ، وكان صديق ابي ، ان يضربني عشر ضربات شديدة !

لم يحتج احد ، لأنهم جميعاً كانوا ثملين ، فتحملت تلك الضربات العشر الشديدة وانا احبس الدموع التي كانت تتجمع في عيني بسرعة ... ولم ابك . كانت لحظات رائعة حقاً .

٣٠ نيسان : ـ انها هكذا دائماً ، وانا لا املك تغييرها . تحبني ساعات وتهملني اياماً اكثر عدداً .

١ مايس : ـ الحياة ضيقة ، مؤلمة ، قاسية . لا اريد الا ان ابكي طويلا وان امزق قلبي بيدي .

٣ مايس : ـ فكرة الانتحار تراودني ، والدموع تمنع عني سبيل الرؤية . لماذا يهملني الجميع بهذا الشكل ؟ اريد ان ابين لهم عن حبي فلا يدعونني . الا يرون انني مسكين استحق الشفقة ؟

١٠ مايس : ـ امي وابي لا يزالان كما اعهدهما، سهرات .. سكر .. قمار ؛ وأنا لا اكاد اشعر انني ابنهما . ان امي لم تكلمني اسبوعا كاملا !

١١ مايس : ـ كانت الساعة تشارف الثانية عشرة مساء ، وقد فاجأتني هي وشلة من مثيلاتها . كن جميعاً خمس نساء ، قد لعبت الخمر برؤوسهن فرمين الملابس الخارجية وأتين قربي فافترشن الارض واخرجن الورق واخذن يلعبن بين ضجيج وصياح وصراخ ! نظرت اليها بعد ان تمالكت روعي . كانت

لعادتها ، غير منتظمة الشعر وقد تهدلت خصلات منه امام عينيها واحمر وجهها من الكلام والصياح وتمايلت في حركات خليعة ماجنة ، فشعرت بقلبي يخفق . كانت رائعة في كل شيء .. لكنها أمي ؛ وكنت اشعر انني احبها ، لكنها كانت تخزيني وتؤلمني .

لم يجب ان تكون الام فاضلة ذات تربية راقية ؟

وكنت غارقا في افكاري حين سمعتها تحث جماعتها على القيام والخروج بعد ساعة طويلة قضينها في اللعب والصراخ . اوصلتهم الى الباب ثم عادت فتطلعت الي بنظرات تفيض رقة وشفقة وانحنت فقبلتني في وجنتي وهي تهمس ــ « يابني المسكين ، لم لا ترتاح قليلا ؟ » ثم ابتعدت عني وهي تسحب من ورائها معطفها الثمين محنية رأسها الى الارض بهيئة تفكير عميق ، فشعرت بالعواطف المحرقة تموج في صدري وتكتم انفاسي .. وبكيت !

١٥ مايس : ــ الهواء بارد منقع او يكاد بالماء ، والندى في في منتصف الليل يتساقط في الحديقة الغناء ، والهدوء يملأ الاجواء البعيدة عني ، تلك النجوم .. تلك السماء .

لا احد في الدار . اني وحيد الان وسابقى هكذا الى الابد ، ويخيل الي انني لو مت في هذه الدقيقة لمت سعيداً !

١٦ مايس : لا شيء يقترب مني ، لا الحب ولا الحياة . انني في ظلام دامس معلق بين السماء والارض .

٢٨ مايس : ــ كالمجنون اقترب مني بعينين جاحظتين وبوجه احمر يكاد يتطاير منه الزبد فسالني عن والدتي فاجبته باني لا اعلم مكانها . ثار صائحاً شاتماً آباءها واجدادها ومن زوجوها به ، ثم مضى برهة وعاد فجلس في الحديقة قربي وراح في حركات عصبية مخبولة يدخن سيجارة اثر اخرى وينفث الدخان كانه زفير من الجحيم .

لم تات الا في الواحدة والنصف صباحا وهي تجرجر باقدامها . كانت حزينة الوجه مكتئبة النفس . ناداها فاقتربت منا بهدوء وعدم مبالاة وابتسمت لي ابتسامة صغيرة ثم التفتت اليه متسائلة . صاح بحدة يستجوبها

ــ « أين كانت ؟ ومع من ؟ وكيف انت ؟ » ولم ينتظر منها جواباً فقام بسرعة البرق ولطمها على وجهها لطمة شديدة فوقعت في الحال تحت قدميه . صرخت دون شعور وقفزت نحوها فاحسست بلطمة مفاجئة تواتيني فغبت عن صوابي . علمت بعد ذلك انه ابي الذي ضربني دون تعمد ، وقد كان يريد ان يضربها هي فاصابتني الضربة حين قفزت نحوها . مرضت اسبوعا كاملا. كانت هي قربي طوال الوقت ، تبتسم في وجهي وتحنو علي وتناديني باعذب الصفات واعز الاسماء ، فكنت في بعض الاحيان اشعر بالدموع تغرق عيني فادير بوجهي نحو الجهة الاخرى ؛ لا ادري لماذا ؟ لكنها شعرت بي مرة من المرات فارتمت على وجهي تشبعه قبلات وقد اختلط صوتها بنشيجها الحاد . كنت حائراً ، ولم اكن اجد ملجأ من هذا العطف والحنان الا ان ابكي ، لانني لا استطيع ان اعمل شيئاً آخر ازيل به هذا التاثر الذي يملكني ازاء عطفها الشديد . كنت احياناً اقبل يدها غير اني كنت اشعر بخجل عميق بعد ذلك ، فامتنعت عن هذا العمل امتناعا تاما . الامتحان على الابواب .

٣٠ مايس : ــ أيها القلق ! لقد علمت طريقي اخيراً .

٨ حزيران : أهكذا يشق على الانسان ان يموت ، حتى ولو فقد أعز مخلوقات الله اليه ؟

اسبوع وانا افكر ، كيف ذهبت ، كيف يمكن ان تذهب ، مع علمي علماً اكيداً انه كان السبب . لقد طلقها وابقاني معه وحيداً بدونها .

٢٠ ايلول : ــ من كان يصدق أني ساكمل في الامتحان بعد الجهد العنيف الذي بذلته طوال شهرين ؟

لا أحد ، غيري انا ، وخاصة في هذا الدرس الذي اصبغ حواشي كتابه ببعض دمي .

ثم ، من سيظن ويعتقد باني سارسب ، بعد الدراسة المتعبة التي تخللت العطلة بكاملها ؟

انا طبعاً ، انا وحدي ، فليس هناك من يعلم بأنني لم يعد بمقدوري ان اقرا حرفاً او اكتب كلمة وانا انسان نصف ميت لا ميزة له سوى الافكار السامة التي تنهشه .

لم ارَ امي منذ اربعة أشهر ، ولم اسمع عنها شيئاً إلا قبل أيام. لقد تزوجتْ ورحلت مع زوجها خارج بغداد دون ان ترسل لي كلمة او كتاباً ، ولقد علمت انها لبثت سعيدة في حياتها وحتى بعد فراقنا ــ فراقي انا ــ ولم أعلم انها سألت عني احداً !

لماذا اريد ان احمل الذين احبهم عبء الاهتمام بي ؟ هكذا تجري الحياة دائماً .. هكذا دائماً .

بلا تاريخ : ــ هل ستنجب ولداً مثلي ، يحبها مثل حبي ويحرص على ذكراها كما احرص ؟

لا اظن ، اقول هذا ودموعي تخنقني ، وهي كل ما بقي الآن لي من الانسان القديم الذي كنته .. ولكن بقربها .

بعقوبة ـ العراق **فؤاد التكرلي**

سؤال ...

•

الى الاستاذ البير أديب
صاحب الفضل الكبير على
الأدب والادباء المجددين

☆

لعبد الملك نوري

بغداد

•

حبيبي ،
لم توليت عني مسرعا امس ؟
قبل ان تضطرب الكلمات بين شفتيك .
وقبل ان ارتوي من ذلك الوميض الغريب في عينيك ؟
اوه .. حبيبي ماذا اردت ان تقول لي امس ؟

***

وعندما كنت مريضة
فقد جلستَ على سريري
ومسحت بيدك الرفيقة على وجنتي
وربض اصبعك طويلا بين شفتي المحمومتين .
كنت اعلم انك تريد ان تقبلني ...
اوه ... حبيبي لماذا لم تقبلني عندما كنت مريضة ؟

***

وعندما كنت واقفة في ضوء القمر
وهواء الربيع يهفهف ثوبي الرقيق
كان صدرك قريباً جداً من نهدي
وكنت اصغي الى هتاف قلبك المهتاج .
اوه ... حبيبي لماذا لم تضمني اليك
عندما كنت واقفة في ضوء القمر ؟

***

وعندما كنت اترصد لك الطرقات
واقفو آثارك في كل مكان
كنت ابداً تهرب من امامي كالمجنون
كانتُ عيناي تريدان ان تغرقا في عينيك
ونهداي يريدان ان يرتاحا على صدرك الحبيب
وجسدي كان ينشد حرارة جسدك الساعر .
اوه .. حبيبي لماذا كنت ابداً تهرب من امامي كالمجنون ؟

***

وعندما انقطعت عن العالم
واسدلت الستائر على شقائي .
اقتحمت انت فجاة تخدعي كالرعب
وكنت تريد ان تقول لي شيئاً
اوه .. حبيبي قل لي قبل ان اجن
ماذا ماذا اردت ان تقول لي امس

مثقفون

بقلم شعبان بركات

لبنانيه في الآداب

☆

قيل ان لبنان وطن الاشعاع الثقافي . وقام اللبنانيون يفاخرون سائر الشعوب ، ولا سيما العربية منها ، بتفوقهم عليهم في العلم والثقافة لا سيما وان مستوى التعليم في لبنان يبلغ حداً لم يبلغه بلد من البلاد العربية حتى اليوم [كذا ...] واليوم يهرع ادباؤنا وبناتنا الى المدارس ينهلون العرفان على ايدي اساتذتهم واستاذاتهن . وتمر بوزارة التربية عندنا فتراها نشيطة عامرة بالطلبة واولياؤهن الذين اتو يدبرون سبل العلم لهم . وتتساءل امام هذا النشاط ما هي الغاية التي يسعى اليها القوم عندنا من تلقي العلم ؟ ولكي تجيب على هذا السؤال عليك ان تجيب عن سؤال آخر هو : ما هي الغاية من العلم والتعلم ؟

يقول البروفسور ريموند لاس فرنياس في مقال له نشرته مجلة « الاخبار الادبية » الاسبوعية ، وهي مجلة فنية علمية تصدر في باريس ، ما يلي : « ان غاية التعليم تقوم على تزويد الطفل بالاسلحة التي سوف يستخدمها في نضاله كرجل ، وليس غايته فقط ان يضمن لصاحبه مركزاً يؤمن به حياته ، بل تمكينه من توجيه حياته والحكم عليها »

فاذا كانت تلك غاية التعليم - كما يرى الكاتب - فانها بذلك تهدف الى ناحيتين ناحية عملية تقوم على ضمان مورد رزق للمتعلم وناحية فكرية تقوم على تزويده بالعناصر الاساسية التي تمكنه من توجيه حياته والحكم عليها .

ثم يستطرد الكاتب قائلا : « بيد ان عالم الغد الذي سوف يحيا فيه الطفل يختلف تمام الاختلاف عن العالم الذي شهد مولد نظم التعليم وتطبيقها حتى اليوم ذلك لاننا نمر بفترة من الانقلابات الهائلة التي تعم العالم في الاجتماع والعلم ، تلك الانقلابات التي لا يستطيع احد الآن ان يتنبأ بنتيجتها »

واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن اذن للطفل ، الذي نربية الآن باساليبنا العتيقة ، ان يواجه غداً هذا العالم الجديد الذي لا يزال ، في علم الغيب ؟

ولقد تعددت الطرق لتلافي هذا الخطر :

« في البلاد التي بلغ فيها التطور شأواً كبيراً ، اعتمدوا على التخصص المبكر ... في الولايات المتحدة مثلا تجد تلميذ الصفوف الثانوية قد اعد للنظام النفعي الذي سوف يدخله ، وهكذا نرى مواد الادب والفلسفة واللغات قد اخذت تضمحل وتتضاءل تدريجياً » وكان من نتيجة ذلك ان ضعف الاقبال على المطالعة الجدية واستعيض عنها بمطالعة خفيفة .

ذلك حل . ولكنه حل يخشى ان يؤدي نجاحه من الناحية المادية الى القضاء على الناحية الفكرية . وهذا ما اخذ يشعر به الجامعيون الاميركيون .

وهناك حل آخر تقول به الثقافة الفرنسية : اذ نرى « ان مهمة الثقافة الفرنسية كانت ولا تزال تقوم على تمجيد الانسان كفرد . والثورة الفرنسية نفسها باعلانها للمساواة انما كانت تدافع بذلك عن « الفرد ضد الطوائف »

ولهذا يرى الكاتب « انه لما كانت فرنسا لا تستطيع منافسة بقية الامم بالعدد الكثير او بالانتاج الضخم ، فان عليها ان تنافسها بالفكر » ولهذا يدعو الى تكوين الشبيبة الفرنسية بشكل يسمح لها بالاشعاع الفكري خارج فرنسا .

ذلك لأن الكاتب يعتقد ان الفتى حين يجهل كيف يكون رجلا يمسي عاملا مشعوذاً ويصبح العوبة غير واعية رغم دقة حساباته واجهزته .

ولقد جهد نظام التعليم الفرنسي دائماً لتعليم النشء « كيف يفكر » ، ذلك بتعليمه « كيف يحكم » و « كيف يختار » ، اكثر من جهده لحشو الدماغ بالمعلومات .

***

امام هذين الحلين يقف المربي اللبناني حائراً : أيهما يأخذ وايهما يدع ؟ اليس من الافضل ان يجمع بينهما ؟ وهل من سبيل الى هذا الجمع ؟ تلك اسئلة تخطر على بال كل مهتم بمصير الشباب اللبناني اولا ، ومصير الثقافة اللبنانية ثانياً .

وليس بعيداً عن الصواب القول بان التعليم اللبناني الرسمي قائم على اتباع الطريق الثاني . كما ان المدارس والجامعات الخاصة والاجنبية منها ما يتبع الطريق الثاني ومنها ما يسير في الاول . وبهذا يتراءى لنا هذا « الخلط » في اساليب التعليم في لبنان . وعن هذا « الخلط » ينشأ فقد « التناغم » في التعليم اللبناني . ولست انكر ان لهذا « التعدد » فوائده بيد انني ايضاً لا انكر مضاره .

ولعلك تتساءل الان معي قائلا : ما الحل ؟

ان وضع لبنان الجغرافي والاقتصادي لا يسمح له باتخاذ طريق واحد معين . ولهذا كان على القائمين على شؤون التعليم في لبنان ان « يناغموا » بين كل من الاسلوبين وان يسهلوا اسباب الرزق لكل من الفريقين حتى يصبح لبنان حقاً موطناً للاشعاع الفكري الحق .



موعد مع التاريخ

لفؤاد صروف ـ ٣٤٥ صفحة ـ مطبعة مصر القاهرة

الحقائق التي يسوقها الاستاذ فؤاد صروف في تقديم الفصول النابضة بالحوادث في السنوات الثلاث الاخيرة ، وهي الفصول التي يضمها الكتاب الجديد الذي نشر له بعنوان « موعد مع التاريخ » لا يكاد يرتقي اليها خلاف . وهو يرتب تلك الحقائق الترتيب المنطقي الذي سلم من مقدمات صحيحة الى نتائج مقررة . فيقول ان القرن العشرين اهلّ وليس في سمائه طائرة تهدد ولا ذرة تتفجر بمشيئة الانسان وسلطانه . فلم تكد تمضي سنوات على استهلاله حتى اخذت الخيبة تلقي ظلالها القاتمة على الآمال المشرقة . وفي نصف قرن من الزمان او اقل ، حلت الحرب محل السلام ، والقلق والفاقة محل الطمأنينة والرخاء ، والشك في البقاء نفسه محل الارتقاء والسير في معارج الكمال . فلقد كشف المنظار والحساب الرياضي كونا مترامياً يتيه فيه العقل والخيال ويتحدى قياسه الملايين من سني الضوء ، فصارت الارض دقيقة من غبار فضاء لا يحد ، وكشف المجهر وغيره من وسائل البحث جسما حياً كامناً في الخلية وكونا مصغراً في الذرة. وفي هذا الجو من الفكر والشعور تمت احداث النصف الاول من القرن العشرين . ففي جماعة كثيرة من الامم بذلت المساعي للتوفيق بين سلطان الحكومة ومقتضيات الحال الجديدة في الاقتصاد والاجتماع ، وقد كان مبدأ الدمقراطية ومبدأ المساواة كالخميرة في المجتمع وادرك الناس ان الحكومة لا يسعها ان تقف موقف المتفرج على الحياة . وكذلك نشأت « دولة الخير» هنا وهناك حيث صار للحكومة عمل جوهري في تنظيم المجتمع تنظيما يقلل التفاوت بين الطبقات ويضمن للافراد قدراً من الضمان والعون على العيش الكريم .

وكان التطور نحو هذا الهدف وئيداً مرتكزاً على قواعده في بعض البلاد ، وكان عنيفاً مفاجئاً قفازا في بلاد اخرى . وقلّ ان تجد في تاريخ الأنسان حقبة من الزمن اكتوى فيها الناس بنار الحرب ورزاياها كحقبة الخمسين السنة المنصرمة . وقد نشبت الحربان العالميتان من تناحر القوميات التي ورثها القرن العشرون عن القرن التاسع عشر دون ان يروضها مع ان العلم والصناعة في طورهما الجديد جعلا ام الارض موصولة الاواصر متكاملة المنفعة .

وقد انتصف القرن الآن ، ولا يزال ابناؤه يعانون المشكلات نفسها وان اختلفت وجوهها : كيف يضمنون قسطاً من السلام يتيح للعقول ان تزدهر وللهمم ان تعمل ؟ كيف يسيطرون على القوى المخوفة التي فتقها العلم من الذرة وجعلتها الصناعة في متناول ايديهم ؟ كيف يحسنون الانتفاع بموارد الارض اجدى انتفاع؟ هذه وغيرها هي المشكلات التي يتعين على الانسان ان يحلها وهو في النصف المقبل من القرن على موعد مع تاريخه ليلتمس لكل منها الحل الذي يناسبها .

ثم يقول المؤلف إنه منذ ثلاث سنوات، اخذ يدون وينشر ويذيع ما يراه في انباء الامم وحوادث العالم . وقد اختار من بعض ما كتب من هذا القبيل فصول هذا الكتاب دون ان يحاول ان يغير منها شيئاً ، بل سجلها بما فيها من الاحكام والخاطرات التي اصابت او اخطأت ، فهي صورة لفترة من حياة الناس كما وقعت في نفسه يوماً بعد يوم . وكثير من الاراء التي اوردها المؤلف في هذه الفصول المتناثرة التي كتبت في اوقات مختلفة وبوحي ظروف متباينة يتفق فيها معه المفكر المنصف تسليما بسداد الحكم ورشاد التفكير

وكثير من الأحكام التي ساقها في خلال السنوات الثلاث التي تناول حوادثها بالتعليق لا يزال صحيحاً في جملته وتفصيله ما بقيت المشكلات التي صدرت في شانها تلك الاحكام بغير حل او تسوية . وربما كان الامر كذلك لان المؤلف لم يكتب هذه التعليقات متأثرة بوحي الساعة وحده ، وانما كتب معظمها في ضوء افكار مقررة ومبادىء مستقرة اطال فيها النظر قبل ان يكتب، وآمن بها قبل ان يجد من الحوادث ما يستدعي شجبها عليه.

هكذا كانت الاراء التي طوتها تلك الاحكام صحيحة قبل تناول الحادثة من الحادثات بالتعليق ، وبعد ذلك التناول ما صح الحكم السديد . والامثلة على ذلك من صفحات الكتاب كثيرة. فالمؤلف

يؤمن بالعلم ومستقبله والجهاد في سبيله والجهود المبذولة فيه . ولكنه يؤمن ايضاً ان العلم وحده ليس شفاء لمتاعب الانسان ما لم يصحبه ايمان مبني على التقدير المستنير للقيم الخلقية التي تتيح الانتفاع بالعلم اسلوباً وثمرة

وهو في الميادين القريبة منا لا يحيد عن تفكيره المقرر ، ففي رحب التعاون العربي يبرز ايمان المؤلف بمدى الفائدة المترتبة على تحقيق ذلك التعاون وتنسيقه والانتفاع بالممكنات المطوية في ثنايا تلك البلاد في صدور اصحابها ، وهو لا يفتأ يعرب عن ايمانه هذا كلما جدت المناسبة التي تستدعيه ... ولقد فصل المؤلف كتابه في اربعة ابواب ومقدمة جميلة وختام ينم عن رجاحة التفكير وان غلبت على ذلك احياناً جهامة تستمد وجودها من قتام الحوادث وعتمة الظلال .

القاهرة **احمد عبد الغفار**

مواكب الذكريات

لحسن عبدالله القرشي ـ شعر ـ ١٧١ صفحة ـ مطبعة الرسالة ـ القاهرة

اتاح لي صديقي الاستاذ حسن عبدالله القرشي قراءة ديوانه الشعري الماتع «مواكب الذكريات» ، ولست اغالي ان قلت : ان قراءته افاضت على نفسي متعة فنية وملأت روحي بانغام موسيقية عذبة ، تهز المشاعر .

عرفت الاستاذ القرشي منذ عشر سنين ونيف ، فاتصلت بيني وبينه اواصر المودة والصداقة ، وتكشفت لي نفسه على حقيقتها : شاباً يمتاز بدماثة الاخلاق ، وذلاقة اللسان ، ومرارة العاطفة ، وسرعة الخاطر ، وقوة الذاكرة ، وهيمنة الروح الشعري عليه هيمنة كلية ، فهو شغوف بالشعر واحاديث الشعراء ، يتتبع انباءهم ، ويلتهم دواوينهم ، ويطلع على كل ما يكتب عن المدارس الشعرية المختلفة ، والمذاهب الفنية المتباينة في انحاء العالم العربي .

وليس «مواكب الذكريات» اول ديوان شعري يلقيه القرشي الى دنيا الشعر والادب ، فقد سبق له ان قدم الى عشاق الشعر ومحبيه ديوانه الأول «البسمات الملونة» ؛ ولا شك في ان القرشي قد خطا في ديوانه الثاني خطوات فنية واسعة ، تنبيء عن طاقة شعرية مذخورة ، وتدل على مستقبل ادبي زاهر .

وشاعرنا القرشي من شعرائنا الشباب الموهوبين الذين حملوا لواء النهضة الشعرية المعاصرة في بلادنا ، وساروا بها قدماً ، يبغون بذلك مواكبة نهضة الشعر الحديث في الوطن العربي الاكبر ؛ وليس من المغالاة في شيء ان قلت انهم قد وفقوا توفيقاً بعيداً فيما عقدوا عليه العزم .

لقد عاش القرشي حياة ، تقلبت عليه فيها الوان من اللذة والألم ، وضروب من ياس النفس وانقباض القلب ، ومرت عليه انواع من التجارب العاطفية والمادية ، فاختزنها في أعماق نفسه ، حتى اذا تبلورت في قرارتها صاغها اغاريد شعرية جميلة ، تمتاز بانسجام اللحن ، وصدق التعبير ، ووضوح التجربة الشعورية ، مستجيباً بذلك لهواتف قلبه ووجدانه ، فاسمعه في قصيدته «مواكب الذكريات» التي اسمى بها ديوانه يقول :

اي سحر يطيف منك ببالي ويزف القصى من آمالي
ضاحكات الرؤى ترف حواليه وترعاه شاديات الليالي !
وطيوف الربيع نشوى تناغيه بنفح من فيضها المتوالي !
اي فجر ارقته طي نفسي . اي خمر سكبت في اوصالي ؟
اي دنيا تموج بالنغم الحلو ورؤيا بعثتها في خيالي ؟
انت من انت ؟ انت نبع صفاء وجمال معطر ... مختال ؟

ويمضي الشاعر على هذا النمط البديع الى ان يقول :

كم اود الورود يرعشها النسيم عشيقا لحسنها غير سالي !
واحب النهود يسكرها اللمس فتندى بالمسكر القتال
بكؤوس كالخمر ليست بخمر بجنى من رضا بها جد حال
كم اناجي في راحتي شذاها سارى النفح كالسلاف الحلال

ولو امعنا النظر في هذه القصيدة ، لرأينا ان نفس الشاعر تنعكس عليها بوضوح ، فهي تلخص خصائصه النفسية والعاطفية التي تنتثر في معظم قصائد الديوان .

ولعل ابرز ما يطالعه قارىء هذا الديوان ، هو دقته في وصف مشاهد الطبيعة ومجالي الجمال وصفاً فنياً ، يدل على رهافة حاسة التذوق الجمالي في نفس صاحبه ، وبراعته في تحليل خوالج النفس وخطراتها وتصويره للمواقف العاطفية والمشاعر الوجدانية تصويراً دقيقاً ... استمع اليه يقول :

هواك في الروح وفي الخافق يجد لي من مأملي الشارق
احس منه الكون فواحة ارجاؤه بالأرج العابق
نشوى بفيض السحر ريانة بالحب وهي بالسنا الدافق
واحسب الدنيا رياضا زهت في فنها المنسرح الناطق
مبهورة من فرط ما اودعت من لهفة الموموق والوامق
تطلعت سكري لآلائها يدب فيها الشر كالسارق
يسحب ذيل البؤس مفجوعة أصداؤه في فجرها الصادق
لا همس إلا نغمات الهوى رفافة تشدو بلا عائق
تنتظم الأفراح شتى الجنى وتنسج الأحلام للعاشق

وليس ابدع من تصويره الربيع لنا في لوحات فنية خلابة ، تهز النفس، بالوانها الفاتنة الزاهية، وظلالها المتناسقة، اسمعه يقول:

لمن الموكب النضير علت هامه الدرر ؟
ومن «الشاعر» الذي رقص الفجر اذ شعر !
وشدا باللحون قيثاره الناغم الأغر ؟
واستراحت على صداه رؤوس البدو والحضر
ذاك يا صاحبي «الربيع» بدا ساحر الغرر !
طرز الأرض وشيه حاليا يبهر البصر
هو حلم الصبا الأنيق وشبابة الذكر !
صفق الموج هـادراً لمحيـاه والنهر !
سكب السحر في الثمار في أعذب الثمر !
ونما البشر في الزهور في أحفل الزهر !
الطيـور ارتوت به نغما يأسر الوتر
والنسيم احتفى به فهو هيمان ما خطر !
كل غصن له انثنى في حنـان وفي خفر
يتصبى رفاقـه بلغى تعجز البشر

وهكذا تمضي القصيدة في أبياتها على هذا النحو الذي يرتفع اليه الشاعر عندما تهيم نفسه في دنيا الحب والذكريات ، وتحلق في أجواء الطبيعة الساحرة .

ومعظم قصائد الديوان تصور لنا الشاعر انساناً دافق الحس، مشبوب العاطفة ، تتلاطم في أعماق نفسه دفقات الهوى العارم ، فاستمع اليه يقول :

اغنمي بسمة الحياة وترنيمة الصباح
فلكم صدري المشوق على صدرك استراح
ولكم نهدك النفور شكا قبلة الوشاح
ولكم قد رشفت من ثغرك العذب كأس راح
فدعيني احمل من متع الروح ما يباح

***

ناعمي بالوصال فائر احساسي فقد تهت من لظى حرماني

ويطول بي الاستشهاد لو أني اردت ان أسرد الواناً من الابداع الشعري في هذا الديوان ، وحسبي ان اشير الى بعض القصائد التي اخذت بحظ وافر من رقة التعبير ، وحلاوة الايقاع الموسيقي ، واكتمال الوحدة الفنية ، منها قصائده « مناجاة » و «نجوى» و «غربة» و «الى الفراشة» و « خطوة في الربيع » و « أصداء الحب » و « الشهيد » و « نجوى لهيف » .

وجدير بالذكر ان الشاعر قد نحا في ديوانه منحى الشعر القصصي على طريقة عمر بن ابي ربيعة رائد الغزل الصريح في الحجاز القديم، فيصف لنا الواناً من احاديث الهوى والغزل التي دارت بينه وبين محبوبته في بعض مواقفه الغرامية ، كما في قصائده «لقاء في الروض» و « لهفة » و «ثورة » و « عتاب على النيل » استمع اليه في قصيدته « لهفة » يقول :

عاتبتها والقلب في خفقه أسيان كالطفل أنى ما يعاب !
فاغمضت من طرفها وارتمت فوق فؤاد ضل معنى العتاب
وأرسلت لؤلؤها دافقا يرويه لحن الحب إما استراب
يفيء بالنعمى الى واجد أحلامه الغر تراءت سراب
وغمغمت : يا لك من حاقد تروم تصليني أليم العذاب
أأنت حب؟لا ! فكيف اجتلت عيناك مرآي صريع اكتئاب
تشتط في العتبى فماذا جنت عليك نفسي حرة كالشهاب ؟
يا لك من قاس على إلفه لم يذكر عهد زها واستطاب .

وقد تتملك النفوس الشاعرية الحساسة نوبات من اليأس والحزن القاتم ، ويرفرف عليهم روح من التشاؤم، حين يصدمهم الواقع في أعز آمالهم ، وتفجعهم الحياة في اعلى أمانيهم .

وقد تعرض شاعرنا لأزمات من هذا النوع تركت ظلالها السوداء في نفسه ، فانعكست في شعره آهات خافتة متقطعة ، تصورها قصائده : « نجوى لهيف » و « غربة » و « اليأس » وغيرها ، فاستمع اليه يقول :

أنا في ضجة الحياة غريب خافت الجري في صحاري الزمان
مستطار الخيال مرتعش الطرف صريع الهموم دامي الجنان
رنحتني صروف دهري حتى عفت عيشي مرفقا بالهوان
وشجتني رؤى الضغائن حتى ضاق ذرعي بكل خل مداني

ولم يقتصر شعر الديوان على القصائد الغنائية ، والقطعات الغزلية ، بل إن هناك بعضاً من القصائد شارك بها الشاعر في

مختلف المناسبات الاجتماعية والقومية والتاريخية ، كما في قصائده « قبس من الهجرة » و « نشيد العروبة » و « من سور المجد » و « الشهيد » و « الحرب الثالثة » .

وكم كنت اود أن يخلو مثل هذا الديوان الأنيق في مادته وطباعته من وقوع بعض أخطاء مطبعية سأضرب صفحاً عنها لوضوحها لكل قارىء .

وبعد ـ فديوان «مواكب الذكريات» أثر ادبي، سيضيف الى كنوز الشعر الحجازي الحديثة ، ثروة فنية طيبة ، تزيد من نمائه وخصبه وتطوره .

واني اهنىء الصديق الكريم على تحفته الشعرية ، التي امتعت فينا الروح ، والتي برهنت على ان في شباب الحجاز الناهض فئة وقفت جهودها للعمل من أجل « الفن للفن » في صمت ودأب وكفاح رائع .

مكة — محسن احمد باروم

العرب والحضارة الحديثة

للدكتور احمد زكي بك واحمد سامح الخالدي والدكتور صبحي المحمصاني والشيخ محمد بهجة الأثري ـ أشرف على اخراجه هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية ـ ١٤٤ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت

نرى ان خير تعريف بهذا الكتاب هو الكلمة القيمة التي قدم له بها الاستاذ الدكتور نبيه امين فارس رئيس هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية في بيروت ننشرها فيما يلي، مع تقديم الشكر لهيئة الدراسات على الجهد الخير الذي قامت به في سبيل خدمة الفكر والثقافة وعلى رجاء في ان تواصل الهيئة عقد امثال هذا المؤتمر الناجح :

تجتاز البلاد العربية اليوم مرحلة عسيرة ملأى بالصعوبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية . وقد تتضارب الآراء في انجع الوسائل وافضل السبل للخروج من هذه المرحلة فمن العرب من يقضي حياته مردداً «الصبر مفتاح الفرج» ومنهم من ينتظر الخلاص على يد عدو عدوه ، ومنهم من يعالج قضاياه دوماً بالارتجال كلما حلت به ازمة فتق لها حيلة. وهنالك فئة مختارة تؤمن انجميع مشاكل العرب قابلة للعلاج اذا ما صدف المسؤولون عن الارتجال وسعوا في سبيل العمل المنظم المستمر . وتؤمن هذه الفئة ان من واجباتها القومية المقدسة ان تيسر الفرص المناسبة والأحوال الملائمة لدرس قضايا العالم العربي الملحة دراسة علمية في جو علمي حر .

وهذه هي الغاية التي من اجلها وطدت هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأميركية العزم على عقد مؤتمر تطرح فيه بعض هذه القضايا الملحة على بساط البحث وتناقش فيها الآراء مناقشة علمية في جو نقي من العنعنات السياسية .

وهيئة الدراسات العربية هذه تضم اساتذة دائرتي التاريخ العربي واللغة العربية في الجامعة ونفراً من اساتذة الاقتصاد والتربية والسياسة . ولا تتوخى الهيئة من جميع دراساتها سوى جلاء الغامض ، وتبسيط المعقد ، واحكام المتشابه ، والوصول الى الحقيقة او اقرب ما يمكن اليها .

وقد وفقت الهيئة الى الظفر بمساهمة اربعة من قادة الفكر العربي في باكورة مؤتمراتها بالقاء المحاضرات العامة اساساً للمناقشة . فقد حضر من القاهرة حضرة الدكتور احمد زكي بك رئيس مجلس فؤاد الاول الاهلي للبحوث واحد قادة الحركة الفكرية في القطر المصري الشقيق. وكانت محاضرته في موضوع « موقف الفكر العربي من الحضارة الغربية » . والقى الدكتور صبحي المحمصاني صاحب التآليف القيمة في فلسفة التشريع الاسلامي المحاضرة الثانية في موضوع «التشريع الاسلامي والمجتمع الحديث». والقى المحاضرة الثالثة الاستاذ الكبير احمد سامح الخالدي رئيس الكلية العربية في القدس وصاحب التآليف العديدة في التربية والتاريخ والسير ، وكان موضوعه «المدرسة العربية ـ نشاتها وسيرها واتجاهها». والقى المحاضرة الرابعة الاستاذ العلامة الشيخ محمد بهجة الاثري في موضوع « الاتجاهات الحديثة في الاسلام » .

كذلك ظفرت الهيئة بمساهمة نخبة من قادة الفكر في لبنان في المناقشات التي اثيرت حول هذه المواضيع الخطيرة ، والتي شارك فيها اعضاء المؤتمر مشاركة فعالة .

ولست بحاجة الى ان اردد اننا في هذه الدراسات لا نروج لفكرة ما بل للفكر . لأننا نعتقد ان ليس في العالم فكرة ممتازة لها طلاسم من السحر تقيها منافسة الفكر الاخرى ـ ولا يجرؤ على التفكير الحر الا الرجل الحر . وبالتفكير الحر والتعبير الحر فقط تستطيع البلاد العربية ان تصل الى غايتها : مجتمع حر في عالم حر يساهم في التاريخ مساهمة حرة ويخلق جزءاً من حضارة العالم .

نبيه امين فارس



القصة والرواية في الادب الاردني

بقلم عيسى الناعوري

☆

تلقيت رسالة من الأديب القصصي الموهوب الاستاذ سهيل ادريس في باريس يطلب الي فيها أن اكتب اليه بعض المعلومات عن فن القصة في الأدب الاردني ـ في فلسطين والاردن ـ لرسالته التي يعدها عن «القصة العربية المعاصرة والتأثيرات الأجنبية عليها» لنيل شهادة الدكتوراه وقد أجبت الى رغبته بالرد التالي، مجيبا على اسئلته بالتفصيل الممكن

•

اخي سهيل: ارى ان افضل طريقة لاجابة رغبتك العزيزة هي ان ابدأ بتسجيل اسئلتك، ثم اجيب عليها بما يمكن من التفصيل.

س ١ ـ متى بدىء بمعالجة القصة في فلسطين والاردن ؟

النهضه الادبية اجمالا في فلسطين بدأت في ابان الحرب العالمية الاولى، او قبلها بقليل، بحكم وجود بعض المعاهد العلمية الراقية فيها، مثل المدرسة الروسية في الناصرة والكلية الانكليزية في القدس، ووجود عدد من المعلمين اللامعين فيها، ثم بحكم اتصال الناس هناك بسوريا ولبنان، وارسال بعض ابنائهم الى معاهدها العالية، وتتلمذ هؤلاء على اليازجيين والبستانيين وغيرهم من الادباء الاعلام هناك.

ولقد كانت الحركة الادبية ضعيفة جداً اذ ذاك، بسبب قلة عدد المثقفين ثقافة عالية وقلة القادرين على تثقيف ابنائهم في المعاهد السورية واللبنانية، والمتمكنين من الاتصال بالحركة الادبية في الاقطار العربية. ثم تقدم التعليم في البلاد بخطى واسعة بعد ذلك؛ ووصل عدد المثقفين الى نسبة عالية في الآونة الاخيرة قبل نكبة فلسطين بسنوات، وازدهر الادب ازدهاراً رائعاً مبشراً، وظهر عدد كبير من الاقلام القويه الموهوبة، شاركوا في الأدب مشاركة كبيرة.

اما في الأردن فقد بدأت الحركة الادبية بعد الحرب العالمية الاولى، وكان نواتها جماعة من اعلام السوريين واللبنانيين والعراقيين وفدوا على البلاد في ركاب الامير عبدالله ـ اذ ذاك ـ ثم تبعهم آخرون، وتتلمذ عليهم بمضي الايام بعض ابناء البلاد شيئاً فشيئاً.

وبتثبيت اقدام الامير في البلاد، وارتقاء وزارة المعارف التدريجي في انشاء المدارس وارسال البعثات الى سوريا ولبنان ثم الى مصر، وتفتح عيون هؤلاء على انتاج اللبنانيين والمصريين والسوريين، نشأ بينهم جيل جديد شارك في الادب باقلام بدأت ضعيفة، ثم لم تلبث ان تمرست وانشات وساهمت مع الايام بجهد مشكور في الانتاج الادبي المعاصر.

اما اقدم الأدباء ظهوراً في فلسطين فنذكر منهم: الشيخ خليل الخالدي، اسعاف النشاشيبي، ابرهيم الدباغ، خليل السكاكيني، خليل بيدس، اسكندر الخوري البيتجالي، الشيخ اسعد الشقيري وعدد غيرهم. ولم يكن بين هؤلاء جميعاً سوى واحد اختص بالكتابة القصصية وحدها، وهو خليل بيدس. وقد شارك اسكندر الخوري في ذلك بان الف رواية واحدة بعنوان «الحياة بعد الموت» ـ وهي من وحي المجاعة التي حلت بالشرق العربي في الحرب العالمية الاولى ـ وترجم رواية اخرى بعنوان «غبريلا الحسناء»، بينما ظهر له في الشعر عدد من الدواوين، وفي ادب المقالة النثري كتاب واحد بعنوان «حقائق وعبر».

وقد ظهرت القصة في فلسطين قبل ظهورها في الأردن بمدة طويلة، اذ مارس خليل بيدس ترجمة عدد من الروايات الاوربية، كما كان يفعل طانيوس عبده في مصر، فكانت هذه الترجمة دافعاً له على الانشاء الذاتي، فصار يكتب القصص القصيرة من تاليفه الخاص حتى اواخر ايامه، وله منها عدد كبير نشره في الصحف، او اذاعه من محطات الاذاعة، ولكنه لم يجمعه في كتاب. واما رواياته المترجمة فلست اذكر منها الآن سوى «الحسناء المتنكرة»، وهي كلها مفقودة من الاسواق، وقد توفي صاحبها بعيداً عن بيته ووطنه، وهو لاجيء مشرد في لبنان، بعد نكبة فلسطين.

وبطبيعة الحال كانت القصص والروايات التي ظهرت في البداية محاولات غير موفقة لمجاراة ادباء القصة الغربيين الذين تفوقوا في هذا الفن، وغزت رواياتهم اسواق الادب في العالم، وكان يغلب على هذه المحاولات ضعف الخيال والحبكة الفنية، كما كانت

المواقف الخطابية او السرد التاريخي تغلب على الحبكة الروائية فيها.

ولعل كتاب الروس كانوا اذ ذاك اصحاب التاثير الأول في نفوس المؤلفين القصصيين الاول ، امثال خليل بيدس واسكندر البيتجالي ، وقد كان هذان من تلاميذ المدرسة الروسية في الناصرة ، ثم ازداد اتصال المثقفين بالغرب، واطلعوا على الانكليزية والفرنسية ، فاصبح للادباء الانكليز والفرنسيين تاثيرهم القوي على الاقلام في سائر مجالي النشاط الادبي والفكري ، واخذ الانتاج الادبي في النضوج شيئاً فشيئاً ، وجعلت الاقلام الجديدة تنشىء انشاء ذاتياً في مجال القصة والرواية ، وعلى الأخص في مجال الأقصوصة . والى جانب الانشاء الذاتي ظل كثير من حملة الأقلام يترجمون من هنا وهناك . ويلحقون الادب العربي بنتاج التفكير الغربي والفن الغربي ، ولا سيا في باب الرواية والقصة ، كما ان انتاج الأقلام المصرية واللبنانية القصصي والروائي أخذ يغزو الاسواق ، ويترك اثره في الحياة الادبية الفلسطينية ثم الأردنية ، في حدود الامكانيات الثقافية في كل من البلدين .

وقد ظهر كثير من الاقاصيص المترجمة والموضوعة في الصحف الفلسطينية والاردنية ، ولكن لم يظهر من الكتب في هذا الباب سوى عدد ضئيل جداً ، لا يكاد يتناسب مع وفرة المؤلفات في النواحي الفكرية والثقافية الاخرى .

والقصة الفنية الخالصة لم تظهر في الادب الفلسطيني والاردني الا فيما ندر ، ولعل اروع ما ظهر في هذا الباب « مذكرات دجاجة » للدكتور اسحق موسى الحسيني ، فهي قصة انسانية جميلة تتمثل فيها كل خصائص الرواية الفنية ، في براعة حبكتها ، وتسلسل افكارها ، وقوة موضوعها ودقة مواقفها المؤثرة ، وسمو فكرتها .

***

س٢ ـ من هم الذين عالجوا القصة في فلسطين والاردن ؟

س٣ ـ وهل اصدروا كتبا في هذا الصدد ؟

ذكرنا فيما تقدم ان خليل بيدس واسكندر البيتجالي كانا من طلائع كتاب القصة والرواية في فلسطين ، ونضيف الآن ان عدداً آخر من ادباء القصة قد ظهروا بعد ذلك ، ونذكر من هؤلاء :

جمال الحسيني ـ وقد اصدر روايتين ، اذكر منهما « على سكة الحجاز » ـ والدكتور اسحق موسى الحسيني ـ وقد صدر له في سلسلة « اقرأ » في عامها الأول رواية « مذكرات دجاجة » ـ ومحمود سيف الدين الايراني ـ وقد جمع في كتابه « اول الشوط » عدداً قليلا من اقاصيصه الى جانب ما فيه من ابحاث ومقالات ادبية ـ وكذلك ظهر ادباء آخرون كتبوا وانشأوا عدداً كبيراً من الأقاصيص ، ولكنهم لم يجمعوه في كتب مطبوعة ، ومن هؤلاء نجاتي صدقي ـ وهذا متأثر بالأدب الروسي كل التاثر ، وهو يتقن الروسية ، وله زوجة روسية ـ ونصري الجوزي ، وعارف العزوني ، ونجوى عارف قعوار ـ وهذه تقيم في الناصرة ، وقد انقطع عنا نتاجها الادبي منذ نكبة فلسطين ـ وسميرة عزام ، التي تذيع من محطة الشرق الادنى وتنشر في الأديب ، خاصة بعض انتاجها القصصي الجميل . وهناك شاب ناشىء من القدس اسمه تحسين الامعرى اصدر مجموعة من المحاولات القصصية وهو لا يزال طالباً في المدرسة الثانوية ، ودعاها « صوت الضمير » ، وأظنه الآن ليس راضياً عن هذه المجموعة .

أما في الأردن فلم يظهر من أدباء القصة كاتب مختص بهذا الفن ، والذين أنشأوا في القصة منهم عدد قليل جداً ، يقوم في طليعتهم شكري شعشاعه ، وهو من ارجح الأدباء عقلا، وانضجهم فكراً وقلماً ، وقد نشر في الصحف عدداً من الأقاصيص ، وله كتاب « ذكريات » وهو يجمع بين الرواية والمذكرات ؛ وهناك اديب عباسي ، وله عدد قليل من الأقاصيص المنشورة في الصحف ؛ وروكس العزيزي ، وله رواية بعنوان « ابناء الغساسنة وابرهيم باشا » وهي رواية تاريخية موفقة في حبكتها ، قوية في حوادثها واسلوبها ، وله كذلك عدد من الأقاصيص التي تعالج شؤون الحب والتقاليد في البادية ، وعبد الحليم العباسي ، وله عدد من الأقاصيص الموفقة ، نشرها في الصحف ، ورواية مطبوعة بعنوان « فتاة من فلسطين » لم يوفق فيها . ولكاتب هذه الأسطر عدد من الأقاصيص نشرها في الصحف ، ولم تجمع في كتاب .

هذا كل ما اذكره من الانتاج القصصي واسماء اصحابه في فلسطين والأردن ، البلدين اللذين اصبحا اليوم يؤلفان مملكة عربية واحدة ، من المجموعة العربية الكبرى ، ارجو ان لا اكون قد سهوت عن احد من الأدباء الجديرين بالذكر ، او عن شيء من الانتاج القصصي الخليق بالتنويه .

أما مزايا القصة الفلسطينية والأردنية فلا يمكن تبينها بعد بوضوح ، فليست هناك قصة محلية بالمعنى الصحيح ، الا فيما يتعلق بالناحية الوطنية ، في تصوير النضال الفلسطيني ابان الثورات الفلسطينية المتعددة ، ولا سيما ما صدر بعد النكبة . ويغلب على الانتاج القصصي الفلسطيني الطابع النضالي الحماسي ، والطابع الاجتماعي الذي يعالج مشاكل الاسرة والتقاليد . والطبقات والنظم الاجتماعية ، ومشاكل الحياة اليومية .

اما القصة التحليلية فلم يظهر اثرها بعد بوضوح ، وكذلك لم تظهر القصة التاريخية الا فيما ندر .

ولقد طرأ على النهضة الأدبية في الآونة الاخيرة كثير من الجمود، وكان تأثيره على الانتاج القصصي كبيراً جداً، فيندر الآن ان تجد قصة او مؤلفاً روائياً لكاتب فلسطيني او اردني. ولعل اهم الاسباب في هذا الجمود هو انعدام الصحف الادبية الاسبوعية او الشهرية في المملكة، وانصراف الجرائد المحلية القليلة جداً – وهي لا تتجاوز الاربع الجرائد – الى معالجة الشؤون السياسية الداخلية والخارجية. وقد يكون من الاسباب الاخرى تشتت اكثر حملة الاقلام في الاقطار العربية، او هجرتهم الى اوروبا واميركا، وانعدام الاستقرار الحقيقي في حياتهم، ذلك الاستقرار الذي هو من اعظم البواعث على الخلق والانتاج

عمان — **عيسى الناعوري**

كتب قرأتها

سألني كثيرون ممن قرأوا مقالتي عن شاكسبير، لماذا جريت وراء التراجم ما دمت اجيد اللغة الانجليزية فاجيبهم على ذلك؟ قائلا ان هذا هو سر تعلقي بهذا الرجل. ان كل قارىء يراه من زاوية خاصة وكل مترجم يرى للكلمة الواحدة معاني مختلفة، اي انه كان يستعمل « روح اللفظ » لا اللفظ بالذات، وقد كان يبتكر اللفظة احياناً حتى تؤدي في السمع والخاطر معاً عملها المطلوب. فهناك كلمة توحي اليك بصوت البحر، وهناك كلمة توحي اليك – كما في ماكبث – بكوارث مقبلة، واخرى توحي اليك بالشعور بالعوز والحاجة والعرى والجوع والظما.. نعم كلمة واحدة، «تفرش» على عدة لوحات كصور متباينة مختلفة الملامح، وان تكن في الأصل لشيء واحد، مثال ذلك انه في احدى اغنياته يقول لحبيبته «لقد اقلقت السماء بصيحاتي العارية» والكلمة الانجليزية هي: الصيحات التي « لا تلبس نعلا » ..

وإني اترك للقارىء تخيل هذا المعنى، فان الرمزية كلها في الاستغراق فيما وراء الكلمة، في التامل فيما تشير اليه من بعيد، في استعراض صيحة صار لها كيان آدمي، ولكنه كيان آدمي فقير عار عاجز عن ان يلبس حذاء من الفقر او الزهد او منهما معاً لا تدري وهذا الكيان الآدمي يضرب بقدمه العارية الأرض غاضباً ساخطاً، يريد بهذا القدم العاري المتعب الكليل ان يسمع من؟ يسمع من في السماء.

ولقد استعرض احد النقاد المحدثين اخيراً رمزية شاكسبير ورمزية شاعر عالمي كاليوت، فقارن بينهما في معنيين متقاربين في قطعة من ماكبث تصف الظلمة المخيمة على ليل الجريمة، وقطعة من اليوت تصف الكآبة المخيمة على منزل خرب مهجور، وخرج من هذه المقارنة بان شاكسبير ابو الرمزية بكل معانيها.

قالوا عن شاكسبير انك واجد فيه كل الوان الشعر ومذاهبه، ولكني اخالفهم في هذا فانك واجد فيه كل شيء الا «الكلاسيكية»

وما الكلاسيكية الا عبودية للماضي، وتقيد بالتقاليد، واعتراف تام لسلطان «العقل» المطلق، ومهما يكن من اثرها في اشاعة الاستقرار والنظام في العمل الفني، فانها ضد الرومانطيقية التي تعطي للروح والعاطفة السيطرة والزمام، وتعتمد في العمل الفني على نضج الذات لا على اهمية الموضوع الخارجي وعلى ان «النفس» هي التي تستمد من خوالجها وشعورها ما يمكنه ان يقوم على قدميه مستقلا بارزاً واضحاً، بغير الاستعانة بقوى خارجية. على ان النقاد قد عابوا على الرومانطيقية افراطها في اللفظ، واسرافها في العاطفة، وتمردها الجاف في الخروج على المالوف، فجاءت الرمزية تلم اطراف هذه الفوضى من الترف الأدبي، بما جعلته شروطاً للرمزية الا وهي: التركيز، وعدم استعمال اللفظ المباشر، والايقاع الموسيقي المتزن، والارتباط بين العالمين الداخلي والخارجي بواسطة الاشارة او «الرمز» بما هو خارج النفس الى ما في داخلها او العكس.

وتوضيحاً لذلك اقول ان العمل الأدبي عبارة عن «ادارة» تجري في غرفتين، الاولى تطل على الخارج والثانية بعيدة عنه، اما الاولى فهي التي يطل منها الفنان على العالم، ومنها يستمد «تجربته الشعورية»، ولكن العمل باكمله يجري في الغرفة الثانية، التي نجد فيها اربعة « مكاتب » يجلس الى الاول كاتب اسمه « العاطفة »، والثاني كاتب اسمه «العقل» وثالث اسمه «ضابط الايقاع»، ورابع اسمه «الموصل» ... واهميتهم هي بهذا الترتيب الذي ذكرناه، والخلط كل الخلط في تقديم واحد على الآخر، والفوضى كل الفوضى في تغليب قوة على الاخرى، والادب كل الادب هو في ايجاد موازنة بين «المتناقضات» المختلفة حتى تصل الى يدي الموصل كقطعة مطمئنة بتوازنها، وان يكن اساس توازنها تناقض القوى وتضارب النزعات!

هذا « التوازن » هو الفن، وهو سر عظمته.

« صوت الامة » المصرية — **ابراهيم ناجي**

مراكش

الأرض والانتاج والسكان

عرفت جريدة البيان الغراء التي تصدر في وشنطن والتي يحررها صديقنا الكاتب العربي المناضل الاستاذ راجي ظاهر بتتبع القضايا العربية المختلفة ومعالجتها بوعي واخلاص وقد اصدرت اخيراً عددا خاصا «بمراكش» فرأينا ان ننقل الى القراء المقال التالي الذي اخذناه مما كتبه الاستاذ عبد الكريم غلاب رئيس تحرير «رسالة المغرب» لما تضمنه من المعلومات المفيدة في تعريف مراكش، ارضها وانتاجها وسكانها:

مراكش

هكذا يدعوها الشرقيون باسم عاصمتها الجنوبية التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ البلاد . ويدعوها المغاربة « المغرب » او « المغرب الاقصى » تمييزاً لها عن اجزاء المغرب العربي الاخرى : تونس والجزائر . وتقدر مساحة هذه البلاد — بعد ان اقتطعت منها عدة مناطق في الشمال والجنوب والشرق — بنحو ٥٠٠ الف كيلومتر مربع . ويحدها من الشمال البحر الابيض ومن الغرب والشمال الغربي المحيط الاطلسي ومن الشرق بلاد الجزائر ، اما من الجنوب فالصحراء الواسعة التي تكتنف حدودها وحدود الجزائر .

وتختلف اجزاء سطح مراكش بعضها عن بعض ، من جبال مرتفعة وأودية منخفضة وسهول شاسعة وانهار مستطيلة . هناك سلاسل من الجبال تبدأ في الشمال بسلسلة « جبال الريف » التي تعتبر امتداداً لجبال البرنيه على حدود شبه جزيرة ايبيريا ، وتعتبر هذه السلسلة متوسطة الارتفاع يبلغ اعلى ارتفاعها نحو ٢٥٠٠ متر . وسلاسل الجبال الاخرى تتمثل في مجموعة « جبال الاطلس » المشهورة . وهي ممتدة في وسط مراكش من الشرق الى الغرب . ويقسمها الجغرافيون الى ثلاث مجموعات من السلاسل الجبلية :

الاطلس الكبير ويبلغ اقصى ارتفاعه ٤٥٠٠ متر

الاطلس المتوسط ويبلغ اقصى ارتفاعه ٤٠٠٠ متر

الاطلس الصغير ويبلغ اقصى ارتفاعه نحو ٣٣٠٠ متر

ورغم ارتفاع هذه السلاسل الجبلية ، الريفية منها والاطلسية ، ورغم الثلوج التي تغمرها وخاصة في فصل الشتاء ، فان الحياة قد استقرت فيها في مختلف عصور التاريخ ولا يزال سكانها يمثلون القوة والجرأة والشجاعة بين سكان هذه البلاد .

ويلاحظ ان هذه السلاسل الجبلية لم تفصل مناطق مراكش بعضها عن بعض فان الممرات الطبيعية والاودية التي تكتنف هذه الجبال ، وكذلك الطرق التي اختطتها القوافل على مر الزمان ، كانت كلها سبيل الاتصال بين شرق مراكش وغربها وشمالها وجنوبها .

مناخ مراكش وانهارها

ومناخ هذه البلاد يجمع بين مناخي المحيط والبحر الابيض ويمتاز باعتدال في الصيف والشتاء وذلك في الشواطىء والمناطق القريبة منها . اما في المناطق الجبلية فيشتد البرد وتتهاطل الثلوج في الشتاء ، ويعتدل الجو في فصلي الصيف والربيع . وتخضع مراكش لتأثير البحر والمحيط في نظام الامطار التي تكثر في الخريف والشتاء . ورغم ان الامطار قد تقل في بعض السنين الى درجة المحل ، فان البلاد لا تزال تعتمد على الامطار في حياتها الزراعية لان مياه الانهار لا تستغل استغلالا كافياً . وللامطار وكثرة الثلوج في الجبال اثر في مجاري الانهار الكثيرة التي تخترق مراكش ، واهم هذه الانهار نهر « الملوية » الذي يصب في البحر الابيض . ونهر « سبو » الذي يصب في المحيط ويبلغ طوله نحو ٨٠٠ كيلومتر . ونهر « ام الربيع » ويصب ايضاً في المحيط . وهناك عدة انهار وروافد اخرى تعتبر — في وضعها الحالي — محدودة الاهمية .

على ان مراكش بلاد غنية فالسهول الخصبة والمناطق الزراعية الواسعة الارجاء تكتنف البلاد جميعها فيما عدا المناطق الجبلية . والمناطق الجنوبية القريبة من الصحراء تعتبر من اجود مناطق النخيل التي تمد البلاد بانواع البلح والتمر .

منتوجات البلاد

ولاهمية المناطق الصالحة للزراعة لا تزال مراكش تعتبر بلاداً زراعية ، بالرغم من الدور الصناعي الذي قامت به في الماضي ، ولا تزال تتطور مع وسائل الحضارة الحديثة لانشاء صناعات مهمة . وبالرغم من ان الاراضي الصالحة للزراعة لم تستغل جميعها ، فان الاراضي التي تستغل فعلا تقدر بنحو ٤ ملايين من الهكتارات

واهم ما تنتجه مراكش من المواد الزراعية القمح والشعير والحنطة والذره والحلبة ، ويلي ذلك في الاهمية الارز والقطن والقنب والطباق والكتان والخردل والحناء وبعض مواد البهار كالكمون والكراوية .

ويقدر ما تنتجه مراكش من الحبوب في السنوات الطبيعية بما يزيد عن حاجة الاستهلاك فيها . وقد قدر — كمثل لذلك — ما انتجته في سنة ١٩٤٧ من الحبوب بنحو ٢٢ مليون قنطار . وتعادل زراعة الحبوب في الاهمية زراعة الخضر والفواكه والاشجار . وتنتج مراكش من ذلك بكثرة الزيتون ، وتزيد اشجاره عن ٩ ملايين شجرة والعنب الذي بلغ ما يزرعه منه الفلاحون الفرنسيون فقط حوالي ٣٥ الف هكتار ، عدا ما يزرعه المغاربة . ثم البرتقال والليمون والبلح واللوز والجوز والمشمش والبرقوق والتوت وغيرها من الفواكه والخضر . ويلاحظ ان كل هذه الانواع من الزراعة متاصلة في مراكش ، وليس هناك من جديد الا بعض الطرق الحديثة في الزراعة التي يستعملها الفرنسيون وقليل من الاثرياء المراكشيين . كما يلاحظ ان معظم هذه المنتوجات تفيض عن حاجة البلاد ، وتصدر الادارة الفرنسية منها الشيء الكثير الى فرنسا اولا ثم ما فضل منها الى البلاد ذات العملة الصعبة .

ومن أهم ما تنتجه مراكش الغابات والخشب اذ تنتشر في البلاد غابات بشكل واسع تنتج اخشاب الخفاف والسنديان والعرعر والسرو والسندروس ، وتسد هذه الغابات حاجة البلاد الى استهلاك الاخشاب والوقود . وفي مراكش غابات واسعة الارجاء من « الأرز » الذي يشبه الى حد كبير ارز لبنان ، ويوجد بخاصة في الأطلس والريف .

وتقوم مراكش عدا ذلك بتربية المواشي والطيور بكمية

هائلة تفيض عن حاجة البلاد . ويصدر منها الى الخارج وخاصة الجزائر وفرنسا الشيء الكثير ، ويساعد على تربية المواشي الجبال المراكشية التي تعتبر من احسن المراعي .

كما تنتج البلاد الاسماك بكمية كبيرة وقد ساعد على ذلك اتساع الشواطىء المراكشية وكثرة الاسماك في السواحل الأطلسية، ثم مهارة الصيادين المراكشيين الذين يزاولون هذه المهنة منذ القديم ولكن معظم ما تنتجه مراكش من الاسماك يصدر للخارج .

ثروة مراكش المعدنية

وحين ننتقل من الانتاج الزراعي الى المعادن نجد ان الارض المراكشية غنية بمواردها المعدنية. وفي مقدمة هذه المعادن الفسفاط فمراكش في طليعة الدول التي تنتج الفسفاط . وليس من البعيد اذا توفرت لها الوسائل الضرورية ان تصبح الدولة الاولى في انتاج هذا المعدن. ويليه في الاهمية الفحم الحجري والكوبلت ثم البترول والرصاص والحديد والمنجنيز والزنك والرخام والنحاس والزئبق ثم الذهب والفضة . وقد اذيع نبأ العثور على الاورانيوم ، ولم يعرف حتى الآن مقدار ما يمكن ان تنتجه مراكش من هذه المادة لأن الموضوع قد احيط بالكتمان الشديد ولا يدري احد عنه شيئاً منذ اذيع هذا النبأ .

السكان

تلك هي الارض وهذا هو انتاجها وقد كان من الطبيعي ان يسكن هذه الارض الخصبة الغنية شعب يستطيع ان يستفيد من خصبها وثروتها ، ذو مواهب قوية للانتفاع بارضه . وكان لا بد لهذا الشعب ان يملك الاستعداد الفكري والعضلي ما يساعده على استثمار انتاج الارض والتغلب على قسوة الطبيعة التي تبدو في ارتفاع سلاسل الجبال الشاهقة وفي شدة بردها واشتداد الحرارة عند اطراف الصحراء التي تحد مراكش من جنوبها وجنوبها الشرقي.

وكان هذا الشعب هو الشعب المغربي الذي يتكون من عنصرين: البربر والعرب وعددهم تسعة ملايين نسمة. واذا كان النسابون العرب والفرنج يختلفون في اصل البربر سكان مراكش فان اغلبية الذين بحثوا في اصل الجنس البربري يقولون انهم ساميون نزحوا من جنوب البلاد العربية ، فبينهم وبين العرب صلات جنسية تظهر في اشكالهم والوانهم وطباعهم واخلاقهم كما ان هناك صلة لغوية بين اللهجة التي يتكلمها البربر واللغة العربية .

وسبب اطلاق كلمة «بربر» عليهم فيحكي المؤرخون ـ ومنهم ابن خلدون ـ ان العرب حينما فتحوا شمال افريقيا سمعوا اهلها يتكلمون فلم يفهموا عنهم ، فقالوا : ما هذه البربرة ؟ يريدون «الرطانة» فسموا من اجل ذلك بالبربر .

هذا هو العنصر الرئيسي الذي كان يسكن شمال افريقيا على العموم وقد حافظ هذا العنصر على صفاء دمائه رغم حملات الرومانيين والوندال والبيزنطيين الذين لم يسمح لهم سكان البلاد بالاحتلال او على الاصح بالتوغل في داخلية البلاد ، وبالتالي لم يسمحوا لانفسهم بالاختلاط بهم او امتزاج دمائهم بدماء الغزاة في الوقت الذي كان المراكشيون يعملون على طردهم والتخلص منهم ولكن هذه القاعدة اختلفت حينما فتح العرب بلاد المغرب ، فلم يلبث المغاربة ان تدينوا بدينهم وتكلموا لغتهم وامتزجوا بهم، وفتحوا ابواب بلادهم للمهاجرين منهم ، وهكذا اصبحت بلاد المغرب ملجأ للمهاجرين العرب فوفدت منهم قبائل كثيرة ايام الفتح العربي كما وفدت بعد ذلك قبائل متفرقة تنفيذاً للخطة التي اتبعها العرب بانتشارهم على خط انتشار الاسلام في الشرق الغرب .

ثم كانت هجرة اخرى مهمة على اثر فرار العلويين واشياعهم من وجه الاضطهاد الذى منوا به في الشرق .

ثم كانت هجرة مهمة بعد ان انتقل الفاطميون من المغرب الى مصر فشجعوا اربعاً من اكبر القبائل العربية على الهجرة الى المغرب ليحتفظوا بعروبته ويسهلوا رجوع الفاطميين اليها بعد استتباب ملكهم في الشرق .

واخيراً كانت هجرة العرب الذين طردهم الاسبان من الاندلس فكان المغرب مستقراً لهم وملجأ. وظهر هذا الامتزاج في التساكن والتزاوج والجوار . وكان من نتيجة ذلك ان انصهر السكان فلم يعد هناك انفصال بين العنصرين، بل اصبح من الصعب التمييز بينهما ، الا ان الشيء الذي لم تستطع العربية ان تقضي عليه هو اللهجات البربرية المختلفة . فقد ظلت هذه اللهجات منتشرة في جبال الريف والاطلس وسهول سوس، بينما انتشرت العربية في السهول والمدن وبعض الجبال في الشمال ، ولكن انتشار هذه اللغة او تلك اللهجات لا يحدد انتشار عنصر من عنصري السكان ولا يعد دليلا على بقائهما كعنصرين مختلفين . فكثير من الذين عرفوا باصلهم العربي يتكلمون اللهجة البربرية، وكثير من الذين عرفوا باصلهم البربري يتكلمون العربية . فكان من الطبيعي ان نقول ان السكان المراكشيين سواء تكلموا العربية او البربرية يكونون عنصراً واحداً امتزج من فرعين ساميين هما العرب والبربر ، ولهذا الامتزاج نظير في كثير من شعوب اوربا وامريكا .

هذه هي العناصر الرئيسية التي تكون جوهر المشكلة المغربية: الارض والانتاج والسكان . فالارض جعلت من مراكش مركزاً استراتيجياً مهماً في الصلات بين الشرق والغرب، والانتاج جعل منها مورداً خصباً ومنبعاً اقتصادياً خطيراً ، والسكان جعلوا من هذه البلاد وطناً استطاع ان ينهض باعباء الحياة وبرهنوا على انهم قادرون على الاحتفاظ ببلادهم ومميزاتهم .

«البيان» بوشنطن

عبد الكريم غلاب



٢٣ اكتوبر ١٩٥١ – اذاع البيت الابيض نبأ حصول انفجار ذري ثالث

٢٤ – اعلن ماوتسي تونغ ان الصين الشعبية كانت تعتقد ان بالامكان تسوية الحالة في كوريا سلمياً . وانها ما زالت على اعتقادها هذا اذا تقدمت امريكا بعروض عادلة معقولة

– تابع المستر اتشيسون وزير الخارجية الاميركية حل المشكلة الانجلو ايرانية مع الدكتور مصدق وقد بدأ البحث امس اثناء زيارة مصدق للرئيس ترومان

٢٥ – نفت الحكومتان المصرية والبريطانية توسط الولايات المتحدة لحل الازمة بينهما .

٢٦ – ظهرت نتائج الانتخابات النيابية البريطانية ففاز حزب المحافظين على حزب العمال وقد قدم رئيس وزارة العمال الحالية المستر اتلي استقالة الوزارة وكلف المستر تشرشل بتاليفها

٢٧ – قدم السيد فنزيلوس رئيس الوزارة اليونانية استقالته بعد مرور ٤٨ يوما على الانتخابات .

٢٩ – الف الجنرال بلاستيراس الوزارة اليونانية .

٢٨ – اجرت الولايات المتحدة تفجير قنبلة ذرية جديدة وبذلك اصبح عدد القنابل التي انفجرت ٢٢ قنبلة في العالم منها ثلاثة في الاتحاد السوفياتي

٣٠ – ما تزال الحكومات العربية المختلفة تسعى في درس الرد على المقترحات الرباعية المتعلقة بالدفاع المشترك عن الشرق الاوسط التي بعثت بها امريكا وانجلترا وفرنسا وتركيا بشكل جازم لا يحتمل ابداء الرأي .

٣١ – اعلن رسميا في واشنطن ان تجربة ذرية جديدة جرت في الولايات المتحدة وهي الثالثة من نوعها في غضون شهرين .

اول نوفمبر ١٩٥١ – تواصل الحكومة البريطانية ارسال القوات والقطع البحرية الى مصر .

– عرض السيد محمد ظفرالله خان وزير خارجية الباكستان وساطة بلاده لتسوية النزاع المصري البريطاني

– جرى تفجير قنبلة ذرية رابعة في صحراء نيفادا بالولايات المتحدة .

٢ – ما زالت لجنة الهدنة الفرعية في كوريا تواصل اجتماعاتها وتسجل تقدما طفيفا

٣ – قامت مظاهرات بطهران احتجاجا على سياسة الدكتور مصدق رئيس الحكومة الايرانية وتفاوضه مع البريطانيين في وشنطن

٥ – ارسل الاتحاد السوفياتي مذكرة احتجاج الى تركيا لانضمامها الى الحلف الاطلسي تعتبر بمثابة انذار جدي وتقول المذكرة بعد تنفيذ القضايا العديدة ان الاتحاد السوفياتي لن يقف مكتوف اليدين تجاه ما يجري على الارض التركية من بناء القواعد العسكرية وانشاء المطارات قرب حدود الاتحاد لحساب الدول الغربية .

٦ – عقدت الجمعية العمومية للامم المتحدة في باريس في دورتها السادسة .

– عقد اجتماع عسكري هام في البيت الابيض بين الرئيس ترومان والجنرال ازنهاور وزعماء الحكومة الاميركية لبحث القضايا العسكرية المتعلقة بالانتاج والتوزيع والحلف الاطلسي .

– قدمت وفود الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا مشروعا الى هيئة الامم بتوحيد المانيا يتحقق باجراء انتخابات عامة تشمل المانيا كلها وتعيين لجنة دولية لتقرر هل من المستطاع اجراء انتخابات عامة في المانيا في الظروف الحاضرة

٨ – قدم السيد حسن الحكيم رئيس الوزارة السورية استقالته شفاهيا الى رئيس الجمهورية ويبقى الحكيم في الحكم حتى تؤلف الوزارة الجديدة

– اذاعت حكومات الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا نص مشروع وضعته للحد من التسلح العالمي والجيوش ومراقبته بشرط انهاء الحرب في كوريا قبل ذلك . وقد خطب المستر اتشيسون ناظر الخارجية الاميركية في الجمعية العامة للامم المتحدة فدعا الى اعتبار المشروع الثلاثي عظيم الاهمية .

– خطب الرفيق فيشنسكي وزير خارجية الاتحاد السوفياتي في جمعية الامم فقال ان اقرار السلم هو اهم واجب ويجب على الهيئة ان تتخذ قرارا بذلك دون ابطاء وحمل على سياسة امريكا واتهمها بانها تهيء لحرب عالمية جديدة وقال ان بلاده تريد حظر الاسلحة الذرية لا خفضها كما طلب الرئيس ترومان . واعلن ان القوات المسلحة لدى دول الغرب تبلغ ضعفي قوات الاتحاد السوفياتي

٩ – ما زال الدكتور مصدق يتابع مباحثاته في وشنطن لحل النزاع النفطي وليس ما يدل على نجاح هذه المباحثات

١٠ – اذاعت امريكا وانجلترا وفرنسا وتركيا بيانها الايضاحي عن قيادة الشرق الاوسط وجاء فيه ان الدفاع عن الشرق لا يكون الا بتعاون اصحاب العلاقة وان القيادة لن تتدخل في القضايا والخلافات الداخلية ولن تدخل قواتها اراضي الدول المساهمة الا برضى هذه الدول وبموجب الاتفاقات

١١ – اعيد انتخاب الجنرال بيرون رئيسا لجمهورية الارجنتين .

١٢ – اعلن المستر تشرشل في مجلس العموم انه قد يجتمع الى المارشال ستالين اذا كانت الظروف ملائمة . وينتظر اجتماعه بالرئيس ترومن بوشنطن في يناير القادم .

١٣ – رفضت الجمعية العمومية لهيئة الامم بـ ٣٧ صوتا ضد ١١ وامتناع ٤ قبول الطلب السوفياتي بتدوين قضية تمثيل الصين الشعبية في هيئة الامم .

– ردت تركيا على مذكرة الاتحاد السوفياتي التي تعتبر انضمام تركيا الى حلف الاطلنتيك عملا عدائيا . وجاء في الرد ان تدابير السلامة التي اتخذتها تركيا سببه الطلبات الاقليمية التي قدمها الاتحاد لتركيا والاستعداد العسكري الذي يقوم به على الحدود مما يهدد سلامتها

١٤ – اضربت البلاد العربية اضرابا عاما وقامت فيها مظاهرات كبيرة تأييداً لمصر . وقامت في القاهرة مظاهرة اشترك فيها مليون شخص وسار فيها رجال الحكومة وجميع الاحزاب والهيئات .

١٦ – صرح الرئيس ترومان بانه يعارض عقد مؤتمر يضم زعماء الدول الاربع الكبرى وقال ان هيئة الامم خير مكان لبحث المشاكل الدولية .

١٨ – خطب الدكتور مصدق في وشنطن ومما قاله « اذا لم تساعدوا ايران ماليا فانها تستسلم للشيوعية » .